الدولة في الفكر السياسي– الجهادي المتطرف: داعش أنموذجاً

The State in Extremist Jihadi–Political Thought: ISIS as a Model

أ. **ميثاق مناحي العيسى:** قسم الدراسات السياسية، مركز الدراسات الاستراتيجية، جامعة كربلاء، العراق.

Methaq Mnahi ALiessa: Political Studies Dept, Center for Strategic Studies, Karbala University, Iraq.

methaq.m@uokerbala.edu.iq

د. **حسين أحمد السرحان:** قسم الدراسات السياسية، مركز الدراسات الاستراتيجية، جامعة كربلاء، العراق.

Prof. Dr. Hussein Ahmed AlSarhan: Political Studies Dept, Center for Strategic Studies, Karbala University, Iraq.

hussein.ahmed@uokerbala.edu.iq

ملخص:

تبحث الدراسة في مفهوم الدولة وأصلها وطبيعتها وأركانها في الفكر السياسي الجهادي عند تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" كدراسة حالة؛ بهدف الوصول إلى منهجية التنظيم وفهم ظاهرته الدولتية، إذ اختلف التنظيم عن بقية التنظيمات الإسلامية الجهادية في وضع الجماعة الإسلامية الصغيرة فوق الأمة والمسلمين، وعَدها بمنزلة الفرقة الناجية التي ستشكل الدولة الإسلامية. وتوصلت الدراسة إلى إن فكرة الدولة الإسلامية التي يضعها التنظيم في صلب التعريف بهويته هي فكرة حديثة لا تشكل امتدادًا لما يسميه التنظيم راهنًا تاريخيًا لمفهوم "الدولة الإسلامية"، او "دولة المدنية"، على الرغم من تبريراته الدينية التاريخية، وهي فكرة حديثة بحداثة التنظيم، لا تنتمي الى تجارب الدولة الإسلامية بقدر ما تنتمي إلى فكرة الدولة الحديثة الشمولية القاهرة، التي تبيح لنفسها الحلال والحرام، وتقفز على كل القوانين (الطبيعية والوضعية) لتحتكر السلطة والعنف. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التّحليلي بأسلوب دراسة الحالة، فضلًا عن المنهجي التاريخي الذي وظفه التنظيم في بناء منظومته الفكرية لمفهوم الدولة الإسلامية التقليدية.

الكلمات المفتاحية: الدولة في الفكر الجهادي. تنظيم الدولة الإسلامية "داعش". أركان الدولة. مقومات الدولة. السلفية الجهادية.

Abstract:

The goal of the study is to comprehend the transnational phenomena of "ISIS" by using its methods as a case study and discussing the concept of the state, including its origins, nature, and foundations in jihadist political ideology. The group stands apart from other jihadist Islamic organizations in that it prioritizes the small Islamic community over the country and Muslims. And think of it as the remaining group that will establish the Islamic State. Despite its historical theological grounds, the study found that the concept of the Islamic State is a recent concept that does not extend what the organization refers to as the "Islamic State" or "civil state".

despite its historical religious justifications .It is a modern idea that does not belong to the Islamic State experiences as much as it belongs to the idea of the modern coercive state, Which allows itself what is permissible and forbidden and passing all natural and man-made laws to monopolize power and violence, so the study was based on the descriptive-analytical approach in the case study style, As well as the historical approach of the organization in building its intellectual system of the traditional Islamic State concept.

المقدمة:

إنَّ مشروع الدولة عند التنظيمات الإسلامية الجهادية المتطرفة، يأتي كتطبيق عملي لواجب هام من واجبات الشريعة، ولاسيما عند تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" الذي اتاحت له الظروف السياسية (الدولية والإقليمية) وحالتي عدم الاستقرار السياسي والأمني في سوريا والعراق، مجالًا رحبًا للإعلان عن دولته. إذ يعتقد التنظيم بأن الواقع كان متهيئًا ومناسبًا لموضوعه وبرنامجه ليأخذ مكانه في ساحته، فالانطلاقة التي اعتمدها جنوده "الجهاديون – المتطرفون" في إعلانهم لدولتهم، يعتقدون بأنها كانت مزيجًا مركبًا من حقائق شرعية مستمدة من الكتاب والسنة ورؤى واقعية وسياسية تتمخض عن ساحة "التجربة والمراس" كما يسميها مسؤول الهيئة الشرعية في تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" عثمان بن عبد الرحمن التميمي في كتابه (إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام)، الذي يشير به أيضًا إلى مشروع الدولة الذي أعلنه التنظيم في العراق وسوريا بعد سيطرته على محافظتي الموصل والرقة في العراق وسوريا. فقد تجاوز تنظيم "داعش" كل التيارات الإسلامية الي تصف نفسها بالحركات أو الجماعات أو أي شكل من الأشكال التنظيمية دون الدولة، عندما أعلنها "خلافة" كاملة الصفات والمواصفات – وفقًا لتقديره طبعًا – بأرض وشعب وخليفة له "بيعة شرعية" يطبق الحدود ويفصل بين الناس، وانتماء مواطنيها قائم عل أساس الدِّين العابر للحدود، والعُمدة في سياستها مفهوم "الغزو"، ولها جيش "بمعايير وقواعد إسلامية" – كما تعتقد – في التجنيد والقتل والقتال. نعم، هذا ليس كافيًا لدفع العالم للاعتراف بتنظيم الدولة الإسلامية كدولة، سواء بحكم القانون أو الواقع، إلا أنه يعتقد بإعلان الخلافة والسيطرة على بعض المناطق قد منحه الله فرصة إعلان دولته، فالخلافة المعلَنة من حيث الشكل وإن كانت "دولة دينية" إلا أنها لا تخضع للقانون الدولي السائد لا بمنطوقه ولا بأيٍّ من

مفاهيمه وقيمه، ومنافية للضمير الإنساني. إلا أن ذلك لا يمكنه أن يمنعنا كباحثين من تسليط الضوء على فكرة الدولة وطبيعتها وشكلها ومقوماتها عند تنظيم "داعش" باعتباره أحد التنظيمات السلفية الجهادية.

أولًا: اعتبارات منهجية

١. **إشكالية الدراسة:** تكمن إشكالية البحث في فهم تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" لمفهوم الدولة وأركانها ومقوماتها والخلط بين مفهومه السلفي لها وبين الفهم الحديث والمعاصر.

٢. **فرضية الدراسة:** ينطلق البحث من فرضية علمية مفادها: (أن طبيعة الموائمة بين مفهوم الدولة الإسلامية بمعناها التقليدي والفهم السلفي لها، موائمة غير موفقة، سواء من خلال الاسقاطات التاريخية أو من خلال التوظيف الايديولوجي المعاصر، أو من خلال مقاربتها بالدولة القومية الحديثة وقيمها السياسية المعاصرة، وأن طبيعة الدولة التي انتجها داعش، لا تنتمي إلا إلى التنظيم نفسه وأيديولوجيته الجهادية المتطرفة، فهي حالة غريبة وشاذة عن كل التجارب التي عرفها التاريخ الإسلامي، وانموذج مشوه لا ينتمي إلى أرث الدولة الإسلامية التقليدية ولا المعاصرة، ولا ترتقي إلى موازاة الدولة القومية الحديثة). لهذا تهدف الدراسة إلى:

- التعرف على الفهم الإسلامي للدولة (التقليدي "المعتدل" والسلفي "الجهادي").
- فهم المباني الفقهية للتيارات السلفية الجهادية فيما يتعلق بمفهوم الدولة.
- التعرف على مفهوم الدولة وأركانها ومقوماتها عند التنظيمات الجهادية، ولاسيما عند تنظيم "داعش".

٣. **منهجية الدراسة:** اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التّحليلي بأسلوب دراسة الحالة، واستقراء المصادر المتاحة الأكثر موثوقية، للوصول إلى استنتاجات وتحليلات مبنية على فهم شمولي ومتعمق حول مفهوم الدولة عند التنظيمات السلفية الجهادية، ولاسيما عند تنظيم "داعش"، فضلًا عن المنهجي التاريخي الذي وظفه التنظيم في بناء منظومته الفكرية لمفهوم الدولة الإسلامية التقليدية بموازاة فهمه السلفي الجهادي في عصر الدولة القومية الحديثة.

ثانيًا: ملاحظات منهجية في قراءة السلفية الجهادية

إنَّ مفهوم السلفية ينسحب على الماضي بالكامل، متحصنًا بمشروعية موضوعية تقع في صلب التعبير التاريخي، والسلف الصالح، هي الصيغة الأكثر شيوعًا في المؤلفات والكتب والأشد تداولًا على ألسنة الفقهاء والمحدثين؛ وبالتالي فإن أي حديث عنها سيعني قطعًا التوجه نحو الماضي والتعلم منه والأخذ به. يصنف سيد قطب، كواحد من أوائل منظري السلفية الجهادية الذين استحضروا فكر أبن تيمية حول الجهاد ضد الحكام، بموازاة ما طرحه المودودي حول الحاكمية الإلهية وتقسيم العالم إلى دار إسلام وكفر، وحول الجهاد ضد من لا يحكم بما أنزل الله. ويعتقد اتباع السلفية الجهادية بأن الخلافة الإسلامية هي النموذج الرائد للحكم الشرعي، ويستندون بذلك إلى حشد كبير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. إذ سعى منظرو هذا التيار إلى تأصيل بعض المفاهيم (كالحاكمية لله، وجاهلية المجتمع، وكفرانية التنظيم، والجهاد) من خلال إقامة الدلائل النقلية والعقلية عليها، وتوظيف كل المرجعيات العقائدية والفقهية، لبناء منظومتهم الفكرية على المستوى النظري والانطلاق إلى المستوى العملي الجهادي[١]. وهنا لابد من التنبيه إلى أن تعبير "السلفية الجهادية" بدأت تباشيره الأولى في سبعينات القرن الماضي، نظريًا، في رحاب أحفاد الدعوة الوهابية التي نجحت في محاربة "شرك القبور" لكنها لم تنجح، بحسب "السلفية الجهادية" في محاربة شرك الحاكمية؛ لعجزها عن تنزيل الحكم الشرعي على الواقع. هذا الخلاف كان بمثابة المقدمة التاريخية الجوهرية التي مهدت لاحقًا لظهور التعبير في أول مناسبة حاسمة له توفرت في أعقاب انفجارات مدينتي الرياض (١٩٩٥/١١/١٣) والخُبر (٢٩٩٦/٦/٢٥) في السعودية. فقد تلا الحدثين إجراءات أمنية، وحملات لاستصدار فتاوى شرعية ودعوات باتخاذ مواقف واضحة لا لبس فيها لجهة إدانة التفجيرات، واسفرت الضغوط عن عملية تمايز في الموقف الشرعي بين من يؤيدون الجهاد بصيغته العالمية ومن يعارضونه. ولا شك أن ضربة أو أحداث ١١ سبتمبر وحربي افغانستان والعراق، وما أعقبهما من بروز لظاهرة الجماعات الجهادية في إطار ما أشتهر بتيار "السلفية الجهادية"، مثّل فرصة ثمينة جداً لفهم الظاهرة، ولا شك أيضًا أن ما يوصف بالإعلام الجهادي الإلكتروني، وعبر عشرات الشبكات ذات الصلة، قد وضع النقاط على الكثير من الحروف أمام الباحثين والدارسين للاطلاع على حقيقة الخطاب السلفي

[١]. سادات، أحمد، السلفية الجهادية (التكفيرية) الأصل، المصادر، المبادئ، الممارسات، ص٦٣. كتاب منشور على موقع منصة المنهل الإلكترونية: https://2h.ae/SKQr تاريخ الدخول (٢٠٢٣/٦/١٣):

الجهادي[٢]. وعلى الرغم من الجدال والسجال حول الهوية الفكرية والمرجعية الدينية للجهادية المعاصرة ومحاولة نزع شرعيّة استنادها إلى هوية سنية سلفية في سياق معركة الدعاية والحرب الأيديولوجية؛ إلا أن المرجعيات التي تستند إليها الجهادية العالمية لا تخرج عن ذات المرجعيات السنية، سواء كانت القراءة الجهاديّة لتلك المرجعيات حرفيّة أو انتقائية أو تأويلية. فالحركات والتنظيمات الإسلامية السياسية المعاصرة تعود في جذورها إلى مرجعية دينية تستند أساسًا إلى المدرسة السلفية بتنويعاتها المختلفة، كما إنّ المنطلقات الفكرية للجهادية العالمية الراهنة ترتبط بتراث المدرسة السلفية بنسختها السعودية الوهابية، والمدرسة السلفية الحركية بترسيمها الإخواني القطبي، إذ ترتبط السلفية الجهادية المعاصرة ارتباطًا وثيقًا بتراث الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتطوراته اللاحقة، كما ترتبط بتراث الشيخ حسن البنا (١٩٠٦-١٩٤٩م) مؤسس جماعة الإخوان المسلمين في مصر عام ١٩٢٨، وبروز الجناح الراديكالي من الجماعة مع سيد قطب (١٩٠٦-١٩٦٦م)[٣].

عمليًا، نشأت السلفية الجهادية في السبعينيات من القرن الماضي، في ظل الحرب الباردة من جهة، وانسداد لأفق السياسي في الدول العربية والإسلامية عمومًا واستحكام الديكتاتوريات وعنف الدولة الوطنية المنظم لوأد أي حركة احتجاج بقوة وضبط أنفاس المجتمعات في حالة أقرب ما تكون إلى الاستعباد، بموازاة فشل السياسات التنموية، ظهرت كحركة احتجاج عنيف على النظام السياسي القاهر المصمت والمغلق، ليس فقط على النخبة السياسية، ومع الوقت وبتأثير خبرة الجهاد في أفغانستان "وهي أيضًا جزء من الحرب الباردة" صار الاعتراض على النظام العالمي كله، ومع الأحداث في العراق وبروز الدور الإيراني والحرب الطائفية، ظهرت تحولات جديدة في التفكير السياسي للسلفية الجهادية، إذ صارت الطائفية مكون جديد من "النظرية". وفي سوريا حصلت تحولات أخرى كامتداد للجهادية السلفية التي تكونت في العراق. هكذا تشكلت الجهادية السلفية كحركة احتجاج واعتراض سياسي كلي وجذري على النظام السياسي الوطني والنظام السياسي العالمي معًا، يشكل موضوع الهوية موضوعًا هامشيًا في إطار الاهتمامات الأخرى، اعتراض يتوسل بلغة الدين للتعبير عن نفسه ويكيفها لمقتضياته، على اعتبار أن لغة الدين أقرب ثقافيًا وأكثر قدرة على دعم تفكير جذري وتمتلك ما يكفي لرفع روح التضحية إلى أعلى مستوى ممكن. ومن الطبيعي والحال هذه أن

---

٢. حجازي، أكرم، دراسات في السلفية الجهادية، ط٣، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ٢٠١٣، ص٢١.

٣. ابو رمان، محمد آفاق الإسلام السياسي في إقليم مضطرب الإسلاميون وتحديات "ما بعد الربيع العربي"، مؤسسة فردريش ايبرت، عمان، ٢٠١٧، ص٣٢.

تنظر الجهادية السلفية إلى تنظيمات الإسلام السياسي كتنظيمات علمانية ضالة باعتبارها تعمل في إطار النظام السياسي ولا تعترض عليه اعتراضًا جوهريًا، وإلى الديمقراطية "التي تمثل النموذج الأرفع للنظام السياسي للدولة الوطنية" باعتبارها كفراً؛ لهذ يعد العنف المسلح أساس السلفية الجهادية، وهو عنف يتطور ويتصاعد ويتعمم مع تصاعد العنف المضاد وانسداد أفق التغيير[٤].

ثالثًا: مسار تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في الفكر الجهادي

لم يأتِ تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في العراق مصادفة، ولم يظهر فجأة مع سقوط الموصل في حزيران ٢٠١٤، بل هو محصلة لمسار متراكم متطور بدأ بواقع الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ وما نتج عنه من فراغ سياسي وعسكري وتداعيات مجتمعية وطائفية، كانت لشخصية الزرقاوي وما يحمله من رؤية ايديولوجية متطرفة ومختلفة عن رؤية تنظيم القاعدة، دورًا كبيرًا في التكوين الجيني وتشكيل نواة تنظيم "داعش". هذا الدور والتباين الأيديولوجي عن التنظيم الأم، وجد له حاضنة اجتماعية في البيئة السنية، فالمجتمع السني كان يشعر بقلق شديد من الإقصاء والتهميش، فضلاً عن غياب المشروع الجامع؛ وهذه الاسباب مجتمعة كان لها الدور الأكبر في تثبيت أركان التنظيم الإرهابي في العراق، فضلاً عن ذلك، فقد أثرت الحملة الإيمانية[٥] التي تبناها النظام السياسي العراقي السابق في نهاية السبعينيات من القرن الماضي، بشكل مباشر على الشارع العراقي واشرت على بروز ظاهرتي (التدين والتسلح)[٦]. ولعل ما انتجته البيئة المصرية (المضطهدة) والبيئة النجدية (المتشددة) من أفكار سياسية ودينية متطرفة بعد سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية في هاتين البيئتين وانتقالها إلى الهند – في حقبة أبي الأعلى المودودي – أصبحت مرجعًا فكريًا لكل الحركات الجهادية المتطرفة، وربما تأثيرها وصل إلى كل التيارات الإسلامية بما فيها المعتدلة، إذ غادرت هذا الأفكار المساحة الجغرافية والديموغرافية وخصوصية الزمان والمكان، وأخذت بالتعميم في العالم الإسلامي،

---

[٤]. المرجع نفسه، ص٩٤.

[٥]. راجع: عبد الجبار، فالح، دولة الخلافة التقدم إلى الماضي ("داعش" والمجتمع المحلي في العراق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، بيروت، ٢٠١٧، ص١١٦.

[٦]. هادي، حسين عدنان، الدولة في فكر تنظيم داعش، مجلة اغتراب، العدد١، مركز بلادي للدراسات والأبحاث الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٦، ص٢٢.

وترسخت في مصر على يد (سيد قطب) وكذلك في الهند على يد المودودي[٧]، فضلاً عن البيئة النجدية ولاسيما في السعودية، التي تمثل بيئة خصبة لكل الأفكار المتطرفة والمتشددة؛ مما انتجت تيارات سياسية واجتماعية متطرفة كالسلفية الوهابية في السعودية والاخوانية في مصر، التي انتجت فيما بعد قاعدة الجهاد في الجزيرة العربية، واخذت السلفية تنتشر في الشرق الاوسط، بفعل التشدد والاضطهاد التي تميزت بها البيئة العربية، ولاسيما بعد حربي افغانستان والعراق، وأحداث الربيع العربي التي مثلت فرصة كبيرة أمام التنظيمات الجهادية المتطرفة في اعتلاء المشهد السياسي والاجتماعي في سوريا ومصر وليبيا واليمن، فضلاً عن تونس.

رابعًا: أصل ومفهوم الدولة في الفكر السياسي الجهادي

تمثل الدولة ظاهرة تاريخية وسياسية حظيت باهتمام المفكرين والباحثين في العلوم السياسية والاجتماع والقانون والتاريخ والاقتصاد، كل ينظر لها من منظاره الخاص وخلفيته التي ينطلق منها، لذلك لا نجد للدولة في الفكر الغربي تعريفًا جامعًا مانعًا، وإنما نجد لها الكثير من التعاريف. كذلك الحال بالنسبة للدولة في الفكر السياسي الإسلامي، فهناك من يعدها المظهر الأعلى للوحدة السياسية التي توحد بين جماعة من الناس، وهناك من يرى بأن ليس في الفكر السياسي الإسلامي مفهوم محدد للدولة، والكتب التي تتحدث عنها في الإسلام تستمد مادتها من الأدبيات الإسلامية التقليدية التي تتحدث عن الحكم وليس عن الدولة بالمفهوم النوعي، وهذا يعود في جزء منه إلى أن اهتمام المسلمين بعد وفاة الرسول الأكرم (ص) كان في من يتولى السلطة، فالخلاف بين المسلمين، كان خلافًا على السلطة وليس على الدولة، وكذلك لان السلطة هي عماد الدولة وهي التي تتحدث باسمها، بالإضافة إلى أن مسألة الدولة ووجودها وضرورتها كانت راسخة في عقول المسلمين الأوائل؛ لذلك لم يتم الحديث عنها بعدها حقيقة واقعة[٨].

تبنى الفكر الغربي العديد من النظريات فيما يخص أصل ظاهرة الدولة من أهمها نظرية التطور التاريخي، نظرية العائلة، نظرية القوة ونظرية العقد الاجتماعي التي تعد من أشهر النظريات في الفكر

---

[٧]. ابو هنية، حسن، ابو رمان، محمد، الأزمة السنية والصراع على الجهادية العالمية، ط١، مؤسسة فريدرش إيبرت، عمان، ٢٠١٥، ص١٦٧-١٦٨.

[٨]. علوان، بتول حسين علوان، مفهوم الدولة وأركانها في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، مجلة العلوم السياسية، العدد ٤٣، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ص١٥٠.

الغربي، لكن الملاحظ على معظم هذه النظريات أنها ترى أن الدولة حدث طبيعي مر به المجتمع الإنساني، ويعبر عن درجة من نضج الإنسان واتساع أفقه الاجتماعي والسياسي وهي حاجة إنسانية أصيلة لا يمكن الاستغناء عنها. أما الفكر الإسلامي بشكل عام، الذي يستقي أفكاره من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فانه يرفض هذه النظريات الوضعية فيما يخص أصل الدولة، ويتبنى هذا الفكر الأصل الديني للدولة، فالنظرية الإسلامية تربط بين ظاهرة الدولة وظاهرة النبوة ربطًا زمنيًا وسببيًا[٩]. كما أن المفهوم الإسلامي للدولة لا ينظر إليها على أساس أنها أداة عنف ووسيلة قمع وجهاز يهدف فقط إلى تصفية الفئات المعارضة، ورغم انه لا يمتنع عن تسجيل هذا الدور للدولة، ولا يأبى أن تمارس الدولة العنف والصرامة مع الذين لا يخضعون لشريعة وحكم الله، لكنه يفهم أن للدولة دورًا آخر أكثر أهمية، وهو، أنها اداة تهذيب وتربية وتصحيح، أي أن للدولة دورًا كبيرًا في ممارسة عملية التغيير التي تستهدف بناء الإنسان وتغييره وتهيئة الأجواء المناسبة، حتى يستطيع الإنسان في الدولة الإسلامية من أداء دوره الرسالي والحضاري بعده مستخلفًا من قبل الله تعالى ليمارس دوره في أعمار الأرض وعبادة الله سبحانه وتعالى حق عبادته. ويصف المفكرون الإسلاميون المعاصرون الدولة الإسلامية بأنها دولة غائية، وأن على رأس غاياتها إقامة الدين ونشر الدعوة عن طريق السلطة والتربية. فالدولة تعطي الدعوة للإسلام حركة عالمية، كما تمثل الفرصة الكبيرة لتطبيق الأحكام الشرعية المنطلقة من اجتهاد إسلامي. وتختلف الدولة الإسلامية الغائية عن الدولة الاستبدادية في كونها تحافظ على حق الإنسان في تقرير مصيره بعده كائنًا حرًا ومسؤولًا، كما تختلف عن الدول الديمقراطية الليبرالية في كونها ذات غايات وليست محايدة إزاء القيم الأخلاقية والإنسانية والدين[١٠].

وعلى الرغم من الاختلاف والتباين بين التيارات الجهادية والتيارات الإسلامية الأخرى فيما يخلص موضوع الدولة، إلا أن هناك نقاط تشترك فيها كل التيارات الإسلامية فيما يخص مفهوم الدولة وطبيعتها وحدودها السياسية في إطار الفكر السياسي الإسلامي "كما أشرنا سلفًا" وأن تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، ينفرد بقراءات فقهية وسياسية في موضوع الدولة، تختلف عن باقي التيارات الإسلامية الأخرى، ويختلف بها حتى عن أقرانه من التنظيمات الجهادية الأخرى كتنظيم القاعدة "على سبيل المثال". فمشروع الدولة الإسلامية بالنسبة لتنظيم "داعش" بصفته واجب من الواجبات الإسلامية المناطة بأعناق المسلمين، وفرض كفائي متعلق بالذمة حتى يؤدى في الواقع على الوجه

[٩]. الفقيه، شبر، مفاهيم الفكر السياسي في الإسلام: إشكالية الأمة والدولة، دار البحار، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٩٤.
[١٠]. علوان، بتول حسين، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٦.

المطلوب شرعًا، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالقاعدة الفقهية القائلة؛ "الحكم على الشيء فرع عن تصوره"، فعند تعي واجب ما في ذمة المكلفين وقد التزموا أداءه وفقًا لمراد الشرع واتباعًا لمنهاجه وشريعته، يتوجب عليهم أن يفهموا حكم الله في هذا الواجب وأن يعوا حقيقته الشرعية المرادة وبعد هذا يعملوا على تطبيق هذا الفهم والعلم على أرض الواقع بصورة منهج عملي حركي يتمثل حقيقة ذلك العلم وموضوعه قال تعال: {اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء}[١١].

إنَّ الطابع الغالب على قراءات تنظيم "داعش" السياسية والفكرية، هو فكر الفقهاء من المتأخرين والمتقدمين، وفي مقدمتهم مجموعة فتاوى أبن تيمية، ونيل الاوطار وفتح القدير للشوكاني تلميذ أبن تيمية، وسبل السلام للصنعاني، وكتب أبن قيم الجوزية، وهو تلميذ آخر لأبن تيمية، وفتح الباري لأبن حجر العسقلاني، والمحلة لأبن حزم الاندلسي، والمغني لأبن قدامة، فضلاً عن كتب التفسير والحديث والسيرة، ثم كتب التاريخ مثل أبن كثير (البداية والنهاية)، والتمسك بآراء الفقهاء والعلماء ضمن منهج السنة والجماعة أمثال (الطبري والنووي وابن قدامة المقدسي). كما كان لأبي الأعلى المودودي وكتب سيد قطب وافكاره، دور في ترسيم معالم الفكر السلفي الجهادي، أذ وجدوا في هذا التراث الفقهي تعبيراً عن حاجات عصرهم وعلى رأسها الإصلاح والتغيير والتكفير. واخذوا معالم فكرهم المعاصر من دعاتهم المعاصرين أمثال عبد الله عزام وعمر عبد الرحمن وابو محمد المقدسي وابو عبد الله المهاجر وابو مصعب السوري وغيرهم[١٢]. هذه القراءات كان لها انعكاس فكري وسلوكي كبير وخطير على الرؤية السياسية والدينية لتنظيم داعش، بشأن فكرة (الجاهلية والتكفير) وتقسيم العالم (دار حرب ودار سلام). ففي الأولى انعكس فكر تنظيم داعش على المجتمع الإسلامي، الذي عده بأنه مجتمع متحضر، وما عداه مجتمعات جاهلية بكل صورها المتعددة، مهما كان درجة التطور فيها؛ لأن مقياس التحضر بالنسبة للتنظيمات الجهادية، هو الالتزام بشرع الله وتحكيمه، وأن الخروج او التنازل عنه، يدخل المجتمع في خانة التخلف والجهل[١٣]. ويترتب على ذلك نتيجتان: اولهما ذات مضمون سياسي يتعلق برفض كل النظريات الوضعية للحكم؛ لان الجاهلية تقوم على حكم البشر للبشر، أما الثاني، فيقوم على مفهوم عقائدي يرى في المجتمعات المعاصرة، مجتمعات جاهلية؛ لأنها

---

[١١]. سورة الاعراف، الآية ٣.

[١٢]. عطوان، عبد الباري، الدولة الإسلامية (الجذور، التوحش، المستقبل)، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٥، ص١٥٦.

[١٣]. عماد، عبد الغني، حاكمية الله وسلطان الفقيه، قراءة في خطاب الحركات الإسلامية المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥، ص٤٦.

انحرفت عن تطبيق شرائع الإسلام، وبالنتيجة تكون هذه المجتمعات كافرة. لهذا بقي مفهوم الدولة في الفكر السياسي الإسلامي بشكل عام مفهوم هلامي، تعتريه الكثير من الإشكاليات، ولم يجد لنفسه بيئة ايديولوجية تساعده على التكيف مع الافكار السياسية الحديثة التي انتجها الفكر السياسي الحديث فيما يتعلق بالدولة وقيمها السياسية الحديثة، ولاسيما في الساحة الفكرية الجهادية المتطرفة، ولم يبحث موضوع الدولة ونشاتها ومقوماتها أو أركانها، بشكل منهجي واضح ومستقل، سواء داخل التيار السلفي الجهادي أو من خارجه، وأن كل ما جاءَ في متن الكتب والدراسات، إشارة ضمنية هامشية لهدف هذه التيارات أو الجماعات والحركات هو أنشاء الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة أو تحقيق حلم الدولة الإسلامية. وفي إطار ظهور تنظيم القاعدة برزت إشكالية الدولة ومشروع إعادة الخلافة الإسلامية، وبدأت السجالات بين منظري التيار السلفي الجهادي حول كيفية اقامتها، نتيجة ذلك ظهر اتجاهان: الاول يرى بأن مقاتلة العدو البعيد أولى من مقاتلة العدو القريب؛ باعتبار أن العدو البعيد يشكل العائق الأكبر في طريق إقامة الدولة الإسلامية وإعادة الخلافة. أما التيار الثاني، فيرى وجوب مقاتلة العدو القريب؛ لكونه يرى في انظمة الحكم العربية وجيوشها، هي عوائق وضعها الغرب في بلاد المسلمين، للحيلولة دون إقامة الدولة الإسلامية؛ لهذا يعتقد بوجوب ازالة هذه العوائق والتمكن من إقامة الدولة الإسلامية، ومن ثم التوجه إلى مقاتلة العدو البعيد، أي بعد مرحلة التمكين وإعلان الدولة، وهذا ما اعتقدت به بعض التيارات الجهادية المعاصرة التي انشقت من تنظيم القاعدة، وأبرزها تنظيم الدولة الإسلامية "داعش". فالخلاف الجوهري بين التنظيمات الجهادية المتطرفة، ولاسيما بين الزرقاوي والقاعدة، لم يكن خلاف فكري يتعلق بالمباني أو الاسس الفقهية للدولة وطبيعتها وأركانها، وإنما كان يدور حول الاولويات الاستراتيجية المتعلقة بإعلان الدولة، دون توافر مقوماتها وأركانها، وطبيعة احتكارها للعنف الشرعي الرامي إلى الخلاص والتخلص من العدو القريب الذي يركن في جسد المجتمع الإسلامي، وهذا ما جادل فيه الزرقاوي تنظيم القاعدة وخالفه بخصوص مقاتلة العدو القريب، المتمثل بالأساس الطائفي والمذهبي في قتل وابادة الشيعة والمرتدين من السُنة؛ لهذا لم يكن الخلاف بين الزرقاوي وتنظيم القاعدة فيما يتعلق بالدولة خلاف في البنية الفكرية والعقائدية بقدر ما كان في التكتيك، للوصول إلى مشروعه السياسي وإعلان الدولة. ليتطور الخلاف فيما بعد بين القاعدة وفرعه في العراق (داعش فيما بعد) حول إعلان دولة الخلافة الإسلامية، وهذا الخلاف اثار جدلاً واسعاً بين الظواهري وفرع تنظم القاعدة في العراق، أدى في النهاية إلى الانفصال الكلي عن تنظيم

القاعدة وتأسيس دولة الخلافة الإسلامية[١٤]، التي روج لها تنظيم "داعش" بأنها دولة على شاكلة دولة الرسول (ص) أو ما يسميها (خلافة على منهاج النبوة).

وتأتي فكرة التنظيم الحركي والتمهيد لقيام الدولة في السياق الطبيعي للتأسيس والتمهيد للدولة، وتعد من الاسس السياسية المهمة التي اعتمدها تنظيم داعش في الوصول إلى هدفه الاستراتيجي وإعلان دولته، وتعتمد هذه الفكرة على المجتمع الإسلامي وطبيعته وتقبله لفكرة الدولة الإسلامية المناهضة لفكرة الدولة القومية الحديثة، وتبدأ هذه المرحلة بعد أن تتشكل النخبة التي ستقوم بتشكيل المجتمع الإسلامي قبل مرحلة نشوء الدولة. فالدولة الإسلامية لا تظهر بطريقة خارقة للعادة، بل لابد لإيجادها وتحقيقها من أن تظهر أو لا حركة شاملة مبنية على نظرية الحياة الإسلامية وفكرتها وعلى قواعد وقيم توافق روح الإسلام وتوائم طبيعته، وهذا ما يؤكد عليه المودودي في كتابه (منهاج الانقلاب الإسلامي)[١٥]. والغرض من تلك الفكرة هو تهيئة الارض لمرحلة الدولة الإسلامية، بعد الخلاص من أسس الجاهلية الفكرية والخلقية والنفسية والثقافية السائدة في الحياة الاجتماعية، وكل شيء من شأنه أن يقف ضد مشروع الدولة الإسلامية، وهذا الخلاص يتمثل في تجمع عضوي حركي اقوى في قواعده النظرية والتنظيمية، وفي روابطه وعلاقاته ووشائجه من ذلك المجتمع الجاهلي القائم فعلاً[١٦]. كما أن قاعدة المجتمع الإسلامي وطبيعة تكوينه العضوي، تجعلان منه مجتمعًا فريدًا لا تنطبق عليه أي من النظريات التي تفسر قيام المجتمعات الجاهلية وطبيعة تكوينها العضوي؛ لهذا تخالف التنظيمات الجهادية المتطرفة، ولاسيما تنظيم داعش، أصل نشأة المجتمعات والدول، التي ساقها لنا الفلاسفة والمفكرين عبر التاريخ، وترفض بذلك النظريات الوضعية (نظرية العقد الاجتماعي والسلطة الابوية والعائلة والقوة وغيرها من النظريات) التي فسرت أصل نشوء الدولة، فالدولة الإسلامية عندهم فرض من الله.

خامسًا: مراحل نشوء الدولة عند تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"

تتباين الجماعات الجهادية المتطرفة في استراتيجيتها للوصول إلى السلطة والتمكن منها، فجماعة اخوان المسلمين تعتمد اسلوب الدعوة وبناء المؤسسات والانخراط في العملية الانتخابية، ومن ثم

[١٤]. ابو هنية ابو رمان، مرجع سبق ذكره، ص٣٦.
[١٥]. المودودي، ابي الاعلى، منهاج الانقلاب الإسلامي، الدار السعودية للنشر، ط٢، جدة، ص٢٥.
[١٦]. سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، ط٦، بيروت، ١٩٧٩، ص٤٨.

تطبيق رؤيتها السياسية والدينية، في حين يعتمد تنظيم القاعدة (الجهاد والقتال) للوصول إلى السلطة وتنفيذ شرع الله، أما تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" الذي خالف تنظيم القاعدة في مشروع قيام الدولة وتركيزه على العدو القريب للتمكين وإعلان الدولة حتى يتم توسيع قاعدة العمليات العسكرية والجهادية إلى العدو البعيد. يؤمن تنظيم "داعش" بنشأة الدولة كما طرحها أبن خلدون في مقدمته، إذ يعتقد بنشأة الدولة البرية – الوحشية القادرة على الصمود والثبات والبقاء أكثر ممن نشأ نشأة مدنية حضرية، وانتقال الدولة بين الأطوار التي طرحها أبن خلدون في الانتقال من البداوة إلى الحضارة. فتنظيم الدولة الإسلامية "داعش" يؤمن بهذا الأطوار الطبيعية للدول والغلب الذي يكون به الملك إنما بالعصبية، وبما يتبعه من شدة البأس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالباً إلا مع البداوة، فطور الدولة من أولها بداوة، ثم إذا حصل الملك تبعه الرفه واتساع الأحوال. والدولة التي تأتي بالاعتراف الدولي وما يتبعه ذلك من مساعدات ومعونات للإعمار ومساعداتها في النماء الاقتصادي، إنما تنشأ ناعمة مترفة فهي تدخل مرحلة تدجين واضح، إذ أن انقطاع هذا الدعم وتلك المعونات وغيرها من ثمار الدخول في النظام العالمي بعد الألفة والاعتياد أمر عسير وصعب، بينما الدولة التي تنشأ وفق الظروف الطبيعية الوحشية يشتد عودها وصلبها شيئًا فشيئًا حتى تستعصي على الكسر، فضلاً عن الاخضاع أو الإرغام أو النزول تحت شدة الضغوط، والجهل بهذه السنن الكونية وهذه الظواهر الطبيعية وعدم التأمل في التاريخ، يظن البعض أنه لا يمكن في هذا العصر إيجاد دولة إسلامية إلا وفق الكيانات المسخ "كما يسمها داعش". فالحديث عن دولة إسلامية لا يعترف بها النظام الدولي ولا تعترف هي به، ليس خيالات او أحلام أو أوهام كما يتخيل أو يتوهم البعض، بل هو امر واضح المعالم، ذو استراتيجية بيّنة "كما يروج لها التنظيم" في مفكرة الفلوجة[١٧]. لهذا فإن إعلان الدولة الإسلامية –كما يعتقد بها تنظيم "داعش – يمر بثلاث مراحل:

١. مرحلة شوكة النكاية والانهاك

تعتمد مرحلة شوكة النكاية والإنهاك على مجموعات وخلايا مفصلة في كل مناطق الدول الإسلامية (الرئيسة وغير الرئيسة)، وتبدأ من عمليات صغيرة متسلسلة تتصاعد حتى تصل إلى استهداف البنى التحتية المركزية بالكامل والقضاء عليها، حتى تحدث فوضى توحش متوقعة في مناطق عديدة. وفي رسمه الخطوط العامة بعيدة المدى لاستراتيجية الجماعات الجهادية في الانقلاب على الحكومات

[١٧]. مفكرة الفلوجة، خطة سياسية لتعزيز الموقف السياسي لـ "دولة العراق الإسلامية"، ١٤٣١، ص ١٤. كتاب منشور على موقع جامع الكتب الإسلامية: https://2h.ae/mpVh تاريخ الدخول (٢٠٠٦/٦/٢٦):

العربية وتغيير الأوضاع القائمة؛ يميز أبو قتادة بين "شوكة النكاية و"شوكة التمكين"؛ إذ يرى بأن لا بدَّ من الدخول بدايةً في صدام مع الأنظمة؛ وذلك من خلال شوكة النكاية وهي مرحلة تتسم بالعنف المتدرج الذي تستخدم فيه أساليب حرب العصابات. وهي ذات الاستراتيجية التي اتبعها تنظيم "داعش" في العراق، قبل إعلان دولته المزعومة بعد اجتياحه محافظة الموصل وبعض المحافظات العراقية في حزيران من العام ٢٠١٤. ثم تأتي مرحلة التمكين التي لا بد أن يحكم الناس بالإسلام بجميع الوسائل التي تستند إلى القوة والوصول إلى التمكين من خلال شوكة النكاية المتكررة، لن يجعل همنا إرضاء الناس بتأمين السكن والخبز والعمل لهم، ولسنا محتاجين إلى أخذ رضاهم فيمن يحكم او بما يحكم؟ سيحكمهم أميرنا شاءوا أم أبوا، وسنحكمهم بالإسلام... ولم نصل إلى التمكين بقرار في بيتٍ أبيض أو أسود، بل بعبوديتنا لله وحده، وببراءتنا من كل طواغيت الأرض"[١٨].

٢. مرحلة إدارة التوحش (مرحلة اللادولة)

تأتي إدارة التوحش، التي تعد بمثابة عنوان ثابت لكل التنظيمات السلفية الإرهابية، وهي مرحلة تقع بين مرحلتين، بين ما تسمى بـ (شوكة النكاية) التي تقوم خلالها المجاميع والمجموعات الجهادية المحلية، هنا وهناك، بتوجيه ضربات عسكرية نوعية للأنظمة الموالية للغرب، وبين (شوكة التمكين) التي تتم من خلال إقامة الدولة الإسلامية الموعودة[١٩]. وبين شوكتي النكاية والتمكين، هنالك مرحلة ضرورية وحاسمة، وهي مرحلة "التوحش"، وهي مرحلة استثمار بالنسبة للتنظيمات الإرهابية، اي بمعنى أن تلك التنظيمات السلفية ستستفيد من حالة ضعف السلطات المركزية التي تصيب الدول، نتيجةً للظروف والتطورات الدولية على مستوى النظام الدولي، مما يسهم في اضعاف بعض الأنظمة العربية والإسلامية، ويسَّهل على التنظيمات السلفية إيجاد محاضن آمنة أو مناطق يحكمونها ويطبقون فيها الشريعة الإسلامية ويحمونها، كما حصل مع الاتحاد السوفيتي بعد تفككه، أو كما حصل في الربيع العربي. والمناطق التي تحكمها "المجموعات الإسلامية السلفية" أو الإرهابية، تتساعد مع مناطق أخرى، وتتبادل معها الخبرات، وتقوم فيها المجموعات المحلية الصغيرة بدور "شوكة النكاية" لإرهاق العدو وتشتيت جهوده، وجهود الحكومات الموالية له في أكثر من مكان، ورفع الكلفة السياسية والأمنية في القدرة على مواجهة المشروع الجهادي وإعلان الدولة الإسلامية المزعومة. وهذا الطرح،

[١٨]. ابو قتادة، عمر بن محمود أبو عمر، الجهاد والاجتهاد.. تأملات في المنهج، ط١، دار البيارق – عمان، ١٩٩٩، ص ١٧٥-١٧٦.

[١٩]. أنظر: ناجي، ابو بكر، إدارة التوحش: أخطر مرحلة ستمر بها الأمة، ص١١-١٤.

يتشابه كثيرًا مع مفهوم حرب الاستنزاف، الذي يتم التركيز فيه على الأهداف الاقتصادية، التي تشكل عصبًا حساسًا في المجتمعات الغربية. إذ يعد أبو بكر ناجي أن "إدارة التوحش" أي (الفوضى في غياب الدولة)، هي المرحلة الأخطر التي تمر بها الأمة الإسلامية، والنجاح فيها المعبر إلى دولة الإسلام "المنتظرة منذ سقوط الخلافة". والاخفاق في هذه المهمة يعني المزيد من التوحش، لكن أسوء درجات التوحش هي في رأيه أخف وطأة بكثير من الاستقرار تحت نظام الكفر.

هناك من يفهم مسألة "إدارة التوحش" بشكل خاطئ؛ إذ ينظر لها البعض بإدارة العمليات الوحشية، وفهمها آخرون أنها بديل من مصطلح الجاهلية، في حين أنّ التوحش المقصود، هو وصفه لحالة المجتمعات من دون دولة، بشكلٍ يكاد يقارب وصف نظريات العقد الاجتماعي للفوضى التي تسود في المجتمع فيما اسماه توماس هوبز الحالة الطبيعية التي تسبق الدولة، أو حالة ما قبل الدولة، إذ يكون الإنسان الفاعل بغرائزه والساعي لسد حاجاته من دون أي اعتبار للآخرين "ذئبًا للإنسان"، لكنها تختلف عنها جذريًا. فحالة الفوضى في غياب دولة، هي حالة ما قبل الدولة أو ما دون الدولة، التي تسميها نظريات العقد الاجتماعي الحالة الطبيعية التي تسود فيها حالة حرب الكل ضد الكل. أما عند تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" كما يصورها أبو بكر ناجي، ليست حالة ما قبل الدولة، بل حالة تنشأ رغماً عن الدولة، أو بسبب فشل دولة أو انهيار إمبراطورية أو على هوامش الدول وفي مناطق التخوم، أو تلك الحالة التي يعمد فيها التنظيم أفشال الدولة القومية الحديثة أو الكافرة "كما يسميها" ومؤسساتها وتهديم أركانها، من أجل التمهيد لإقامة دولته، وإدارة التوحش هي إدارة هذه الحالة، أي بمعنى إدارة الحالة الناجمة عن تهديم الدولة وغيابها. بالطبع يتم ذلك أيضًا بأساليب متوحشة، أي حالة الفوضى التي تنشأ في غياب الدولة في الحالات أعلاه. ومن الجدير بالملاحظة أن الفكر الشمولي الديني والعلماني في مسألة الدولة يلتقي في افتراض أن غياب الدولة، يعني حالة من الفوضى والتوحش، على عكس الافتراضات النظرية بشأن الحالة الطبيعية التي تنطلق منها التيارات الليبرالية[٢٠]. وتعد مرحلة "إدارة التوحش" أخطر مرحلة؛ لأن النجاح فيها يكون بمثابة المعبر لدولة الإسلام المنتظرة، أما الاخفاق، فلا يعني انتهاء الأمر، لكنه سيؤدي لمزيد من التوحش، وقد اعتمد التنظيم على هذا المنهج لنشر الرعب والخوف والهلع لإرهاب الخصوم وغير الخصوم، ولعل بهذه الطرق اسقطت الكثير من المدن بيد تنظيم داعش بأقل الخسائر في العراق وسورية. بالمجمل، فإن

[٢٠]. بشارة، عزمي، تنظيم الدولة المكنى داعش، ج١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، قطر، ٢٠١٨، ص ٢٣٤.

الفكرة الرئيسة لـ "إدارة التوحش" تتمثل ببناء تصور استراتيجي لمراحل التغيير الجهادي والجمع بين المناطق التي تسقط بيد المجموعات الجهادية "الإرهابية" والمناطق التي تصارع الدول والحكومات الأخرى، والادوات والقواعد المطلوبة للتعامل مع كل مرحلة[٢١].

٣. مرحلة شوكة التمكين (مرحلة قيام الدولة والخلافة)

الخلافة في الفكر والتفكير الإسلاميين المعاصرين، رمز تاريخ تليد مَضِيع، ويوتوبيا بناء تاريخ مجيد مقبل، إنها الماضي والمستقبل في اتحاد مكين. علة طلب الخلافة استعادة الدولة، واستعادة الدولة شرط أساس لاستعادة الإسلام نفسه. من هنا تلازم فكرة الخلافة وفكرة الدولة، وتلازم فكرة الدولة ومطلب الأسلمة، لكن التنفيذ الآني لم يكن وليد الفكرة القديمة فحسب، بل كان نتاج مسار السلفية العراقية نفسها[٢٢]. فقد عرَّفها (التفتازاني) بأنها: "رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا، وخلافة عن النبي"[٢٣]. وتتلخص الخلافة الراشدة بثلاث خصائص، أي أن تكون اختصاصات الحكومة (الخليفة) عامة، أي تقوم على التكامل بين الشؤون الدنيوية والدينية. وأن تكون ملزمة بتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية، وتقوم على وحدة العالم الإسلامي. ومتى ما اجتمعت هذه الخصائص في الحكومة الإسلامية أصبحت حكومة شرعية مهما يكن شكلها، كما يصورها التفتازاني.

إنَّ فرضية اقامة الدولة عند تنظيم داعش، تنطلق من فرضية إقامة الخلافة، ولا يمكن تحقيق الثانية إلا بالأولى، ويعد تنظيم داعش الدولة بمثابة النواة الأولى للعودة إلى الخلافة الإسلامية. وأن إقامة الخلافة الإسلامية عند التنظيمات الجهادية المتطرفة، هي قضية مصيرية، قضية تحويل البلاد إلى دار إسلام، وتوحيدها مع غيرها من البلاد الإسلامية، وعند الوصول إلى هذه المرحلة يُعلن قيام دولة الخلافة الإسلامية، وبعدها تبدأ الدولة بالتمدد إلى البلاد المجاورة، ومن ثم ينطلقون إلى تحرير الارض من هيمنة الكفر بالكامل. وهذا ما اتبعه تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" بعد احتلاله لمدينة الموصل ومبايعته لخليفته ابو بكر البغدادي وإعلان دولته الإسلامية التي سينطلق منها إلى تحرير كل الاراضي العراقية والسورية ومن ثم شبه الجزيرة العربية ومنها إلى كل بقاع الارض؛ لذلك حرص تنظيم داعش

---

[٢١]. ابو رمان، محمد، الإسلام السياسي في الفكر الإسلامي: المقاربات، القوى، الأولويات، الاستراتيجيات، ط١، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٠، ص٢٦٩- ٢٧٠.

[٢٢]. عبد الجبار، فالح، مرجع سبق ذكره، ص٥٥.

[٢٣]. السنهوري، عبد الرزاق أحمد، فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية، مؤسسة الرسالة ناشرون، ب. ت، ص٧٩.

على حذف كلمتي العراق والشام من تسميته الرسمية بعد أن سيطر على الموصل وغيرها من الاراضي العراقية واقتصر على مفهوم الدولة الإسلامية فقط، وهو ما أعتبره انتصار وإعلان لدولته التي تمت بعد أن بايع الخليفة (إبراهيم عواد البدري) الملقب بالبغدادي.

إن طرح تنظيم داعش نفسه باعتباره دولة، ورفع الدولة فوق التنظيمات الأخرى، أي استغلال فكرة الدولة لفرض الولاء على التنظيمات الأخرى، هو استغلال لفكرة حديثة أداتيًا في فكره التكفيري، فبإنفاذه مبدأ الولاء والبراء سياسيًا (أي الولاء للتنظيم – الجماعة والبراء ممن يخالفه)، ليس دينيًا فحسب، وذلك من خلال قلبه المعادلة ونيَوتِها وتسيسها، اكتسبت قوة سياسية، إذ تحرّر من إي اعتبارات اخلاقية وحتى أيديولوجية عندما تخلى عن الاعتبارات الدينية الأخلاقية لمصلحة جدلية العدو والصديق التي تميز الفكر السلطوي الشمولي في عصرنا[٢٤]. وتميز تنظيم الدولة "داعش" من "القاعدة" بعدم الاكتفاء بالجهاد تحت راية حكم الشريعة (ضد العدو القريب او البعيد)، بل بادعاء إقامة دولة تفرض أحكام الشرع وتقيم حدوده وتولي حاجات السكان في أي منطقة تتمكن فيها ("السلطة في أي منطقة تحرَّر" بلغة اليسار الثوري)، وحتى إعلان خلافة، يُطالب باقي الفصائل بمبايعتها. وهو أختلف عن حركة طالبان في أنه لم يستولِ على مؤسسات دولة قائمة وأراضيها وحدودها؛ إذ لم ينجح في ذلك في أي مكان. وهو، أصلاً يرفض مفهوم الدولة/ الأمة، أي الدولة الوطنية أو الدولة القومية الحديثة، كما يرفض فكرة التقدم بطلب عضوية في الأمم المتحدة، خلافاً لطالبان. فدولة "داعش" ليس قائمة إلا في عملية التمدد والحرب. وهي غير مُعدة إطلاقاً لحالات السلم والتعايش مع المحيط باعتبارها دولة ذات حدود؛ فحالما يتوقف التمدد يبدأ الاندثار.

إنَّ نظامٌ لا يقوم إلا على محيطه نقيضٌ له، فتعريفه لذاته يستمد من الآخر المحيط به، والحالة التي تبقيه قابلاً للحياة هي حالة مستمرة من (التمدد والانحسار). يعني توقف التمدد والعمليات القتالية أنه بدأ في عملية الاندثار، تمامًا مثل التمدد الزائد، الذي ليس بوسعه أن يتدبّره ولا أن يتحول إلى دولة بمهمات الدولة، بما يتجاوز مهمات إدارة الأزمة أو تعبئة الفراغ (بديل فوضى). وهذا يذكر بالعشيرة التي تعيش على اقتصاد الريعي والغزو، فإذا توطنت وارتبطت بالأرض والزراعة، تبدأ في التفكك داخلياً. أنه ينشئ "دولة"، بمعنى أنه يقيم حدود الشريعة حيثما وطئت أقدام "جنود الخلافة" وأراضي دولةٍ قائمة ومعترف بها، ولا يتوقف خلال ذلك عن الدعوة إلى الهجرة والجهاد الأممي، أي أنه حول القاعدة إلى طالبان، وطالبان إلى تنظيم قاعدة. وكل ذلك في مركب واحد هو تنظيم الدولة

[٢٤]. بشارة، عزمي، مرجع سبق ذكره، ص٢٩.

"داعش" الذي طمح إلى الجمع بين الدولة وتكفير الدولة والنظام الدولي، وكونه التنظيم الجهادي الذي يرفع نفسه فوق باقي التنظيمات باعتبار خلافة بالتغلب ولا بدّ من مبايعتها[٢٥].

سادسًا: أركان الدولة عند تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"

غالبا ما تعرف الدولة عند الكثير من المفكرين الغربيين بالنظر إلى العناصر أو الأركان التي تتكون منها، وعند النظر إلى هذه الأركان في الفكر الغربي، نجد أنها تتكون في اغلب الأحيان من ثلاث أركان أساسية هي: (الإقليم، الشعب والسلطة) وهناك من المفكرين من يضيف ركنًا رابعا هو السيادة، الذي يعد المبدأ القانوني الأساس في نظام الدولة. أما موقف المفكرين الإسلاميين المعاصرين من أركان الدولة، فقد اختلف بعض الشيء عن مواقف القوانين الوضعية والمبادئ السياسية الغربية، فبعض الفقهاء والمفكرين الإسلاميين ذكر بأن أركان الدولة هي: (الأرض، الأمة والسلطة) وهذا التقسيم أوسع من الأول، من جهة أن الأرض اعم من الإقليم؛ لان الدولة في الإسلام حسب هؤلاء المفكرين، وأرضها لا تحدد بحدود إقليمية وأن رسالتها عالمية، ولكون الأمة اعم من الشعب؛ لشمولها لأكثر من شعب حسب التصور الإسلامي. وهناك من المفكرين من يضيف عناصر أخرى إلى الدولة الإسلامية منها القانون الإسلامي أي (الشريعة) بالإضافة إلى السيادة أو ما يطلق عليها في الفكر الإسلامي بالحاكمية[٢٦]. وبعض الفقهاء يحصرون أركانها بـ (الدار، والرعية والمنعة). وبحث بعضهم أركان الدولة عند بحثهم عن أحكام دار الإسلام، ويتضح هذا من تعريفاتهم لدار الإسلام، بأنها كل دار ظهرت فيها دعوة الإسلام من أهله، أو كل أرض سكنها مسلمون. فالدار هي البلاد الإسلامية، وما تشمله من أقاليم داخلة تحت حكم المسلمين. والرعية هم المقيمون في حدود الدولة من المسلمين وأهل الذمة. وتزول الدولة بزوال أحد أركانها: الشعب، أو الإقليم، أو المنعة (السيادة)، أو بتحولها من دار إسلام إلى دار حرب[٢٧].

إنَّ تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" لا يخرج من الدائرة الإسلامية العامة في نظرته إلى الدولة وأركانها، فهو لا ينظر إلى الدولة بأركانها بقدر ما ينظر لها بمقوماتها وما تلبيه من طموح في إقامة الدولة الإسلامية المنشودة في كل بقاع الكرة الأرضية، وأن أيّ نظام لا يقوم على أساس الإسلام،

---

[٢٥]. المرجع نفسه، ص٣٢.

[٢٦]. علوان، بتول حسين، مرجع سبق ذكره، ص١٥٦.

[٢٧]. المنصور، ابو عبد الله محمد، الدولة الإسلامية بين الحقيقية والوهم، ب. ت، ص٦١.

فلا قيمة له ولا حرمة في الشرع، حتى لو كان يقبع على قِمة هَرَمِه أتقى الخلق وأعلمهم وأعدلهم. فالتنظيم يعتقد بإن الدولة التي أقامها رسول الله (ص) لا تحمل كل المواصفات التي ينظر لها على أنها من خصائص الدولة المعاصرة بكياناتها السياسية والإدارية والاقتصادية، وأن الدولة التي ينشدها الإسلام، هي تلك التي تقيم الدّيْن أولاً قبل أي اعتبار آخر، وعلى رأس ذلك تحكيم الشريعة، الذي يأخذ بعين الاعتبار مضامين الاحكام وغاياتها، والدولة التي يطلبها الشرع هي دولة مرتكزة على عقيدة التوحيد، منبثقة عنها، تحكم بمقتضى الشرع في السياسة والعلاقات الخارجية، كما تحكم بمقتضى الشرع في النظم والسياسات الداخلية[٢٨].

١. الأرض (الإقليم)

أن تنظيم "داعش" الذي عبر عن مشروعه بإعلان دولته في العراق "تنظيم الجهاد في العراق" ومن ثم الشام "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام"، ومن ثم "الدولة الإسلامية"، رافضة لمشروع وحدود سايكس – بيكو، والانتقال إلى نواة الخلافة والعبور إلى دور إقليمي ومن ثم العالمي. وتشكل الهجرة والجهاد عند تنظيم داعش وتقسم العالم إلى دار حرب ودار سلام، ركنين اساسيين لتحقيق وإقامة الدولة الإسلامية، ودعامة قوية في موضع إعلان الدولة وحمايتها بالمجتمع الإسلامي الواسع والرابطة الدينية الإسلامية، التي تتنافى مع الرابطة القومية ومن يؤمن بالدولة القومية الحديثة ويدافع عنها، بعدها دولة كافرة. ودار الإسلام هو المصطلح الفقهي الذي استخدمه الفقهاء للدلالة على الشخصية الجغرافية للأمة المسلمة، وتمتد حيثما وجد مسلمون ورفع شعار الإسلام؛ لذلك فهي لا تنحصر بحد جغرافي ثابت لا تتعداه، بل هي مفهوم جغرافي مستمر في النمو والاتساع ما دامت الدعوة الإسلامية مستمرة في النمو والاتساع[٢٩].

ويعتقد بعض الباحثين الإسلاميين بأن الأرض "من حيث الأصل" هي إقليم واحد لدولة واحدة، وأن الأرض ملك للمسلمين، وأن السيادة الشرعية فيها لمن يكون مسلما، ولعدم وجود التطابق بين المفهوم النظري والجانب العملي، انقسمت الأرض بين المسلمين وغيرهم، فسميت ارض المسلمين بدار الإسلام وارض غيرهم بدار الكفر. ومن الآراء الأخرى في هذا المجال ما قاله (سيد قطب) من "أن

[٢٨]. التميمي، عثمان بن عبد الرحمن، إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، ب. ت، ص١٠.

[٢٩]. علوان، بتول حسين، مرجع سبق ذكره، ص١٥٧.

دار الإسلام تمثل الأرض التي تعتمد الشريعة الإسلامية سواء أكان مواطنوها مسلمين أم غير مسلمين، في حين إن دار الحرب هي الأرض التي لا تعتمد الإسلام قانونًا لها سواء أكان مواطنوها مسلمين أم لا"[٣٠]؛ لذلك فأن العلاقة بين الدارين من حيث الأصل علاقة حرب لا تنتهي إلا بفرض السيادة الإسلامية على دار الكفر، وفي حالة العجز تلجأ دولة الإسلام إلى عقد هدنه مع دار الكفر[٣١]، وهذه الهدنة تختلف فيها الجماعات الإسلامية، ولاسيما الجماعات الجهادية المتطرفة، فتنظيم الدولة الإسلامية "داعش" ينظر إلى الأرض باعتبارها ركنًا من اركان الدولة الإسلامية، من منطلق ما يسميه التمكين والسيطرة على مساحات واسعة منها؛ الأمر الذي من شأنه أن يحقق مفهوم الشوكة والمنعة لهم في بقاع مختلفة متفرقة وبالتتبع، حتى تحصل لهم الشوكة والمنعة التي بها قوام الدولة والأمارة. فالمَعلم الاساس في قيام الدولة الإسلامية هو ظهور التمكين واعتلاء مظاهر السيادة والشوكة، مستندين إلى قوله تعالى: {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}[٣٢]. فهذه الآية وغيرها من الآيات تشير باعتقاده إلى معلم واضح من معالم ولادة الدولة الإسلامية، وهو التمكين، الذي يقوم على أساس السلطة النافذة والشوكة الضاربة في الأرض، والذي يترتب على وجوده كمناط متحقق في الواقع ظهور الدولة الإسلامية بمظاهرها السيادية وشعاراتها الواضحة[٣٣]. ويعد تنظيم "داعش" الأرض، بمثابة المناط الشرعي الذي تحقق في السيطرة على مدينة الموصل وبعض الاجزاء الجغرافية من الأراضي العراقية والسورية، فالمناط الشرعي في قيام الدولة متحقق لوجود المعنى الذي قامت بها الدولة الأولى "دولة الرسول" وهو – التمكين – على بقاع هي أكبر من تلك التي ترعرعت عليها الدولة الأولى. وعلى ما يبدو بأن تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" يخلط بين مقومات الدولة من حيث الامتداد الجغرافي والاتساق مع شعب معين، إضافة إلى الخصائص الحديثة للدولة بما هي "دولة حقيقية لها محاكمها وقضاتها وأمراؤها المنتشرون في مناطق أهل السنّة" مع المواصفات اللازمة لدولة إسلامية لناحية التمكن في الأرض وفرض أحكام الشريعة على من يقطن تلك الارض[٣٤].

---

٣٠. سيد قطب، معالم في الطريق، مكتبة وهبة، ب.م، ب. ت، ص٨٢.

٣١. آل نجف، عبد الكريم، الأبعاد العالمية للنظرية السياسية الإسلامية، مجلة قضايا إسلامية، العدد (٦)، إيران، ١٩٩٨، ص ١٣٣.

٣٢. سورة الحج، الآية ٤١.

٣٣. التميمي، عثمان بن عبد الرحمن، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥.

٣٤. بشارة، عزمي، مرجع سبق ذكره، ص٢٦٠.

٢. الأمة (الشعب)

إنَّ الأمة في الفكر السياسي الإسلامي عادة ما يشار لها بعدة معاني، منها (جماعة يجمعها مقصد واحد) وقد استخدمت في اللغة في الإشارة إلى (الجماعة التي أرسل لهم رسول) واستعملت في القرآن الكريم في مواضع عديدة، ودلت في نظر بعض الباحثين على معان متعددة منها (ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير)، وهناك من ينظر لها على أنها (مجتمع إنساني يقوم على الأساس العقائدي)[٣٥]. وعلى الرغم من الاختلاف بشأن مصطلح الأمة منذ وقت مبكر بين المفكرين المسلمين، بشأن ربطها بالعصبية، أو الإثنية، أو اللغة، فقد مَثّلت "الأمة" الدينية وحدة التحليل الأساسية لدى الفقهاء؛ إذ منحوها بُعداً أيديولوجياً يربطها بالعقيدة، جاعلاً من وظيفتها نشر الدعوة الإلهية، واعتُبرت السلطة السياسية أداة نشر الدعوة، ليس ذلك فقط، وإنما تطبيق قانونها على المجتمع، بينما تمثلت غاية الدولة في مصطلح فضفاض هو "العدالة"، التي تتحمل السلطة السياسية مسؤوليتها مُتجسدة في الخليفة"[٣٦].

لقد اعطت التنظيمات السلفية الجهادية لمفهوم الأمة بعدًا دينيًا خالصًا، وحصرته بالمنهج الإسلامي، إذ يقول سيد قطب: "...ووجود الأمة المسلمة يعتبر قد انقطع منذ قرون كثيرة ...فالأمة المسلمة ليست ''أرضًا'' كان يعيش فيها الإسلام، وليست ''قومًا'' كان أجدادهم في عصر من عصور التاريخ يعيشون بالنظام الإسلامي...إنما ''الأمة المسلمة'' جماعة من البشر تنبثق حياتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وأنظمتهم وقيمهم وموازينهم كلها من المنهج الإسلامي...وهذه الأمة – بهذه المواصفات– قد انقطع وجودها منذ انقطاع الحكم بشريعة الله من فوق ظهر الأرض جميعًا"[٣٧]. وتمثل الأمة عند تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" النخبة المؤمنة، ولا يمثل الأمة إلا هؤلاء، او اولئك الذي يدينون بما يعتقد به التنظيم على المستوى (الديني والسياسي والاجتماعي)، أما باقي المسلمين فهو يمثلون عامة الناس، الذي لا يعارضون فكر التنظيم[٣٨]. إذ ينطلق تنظيم "داعش" في فهمه للأمة أو

---

[٣٥]. علوان، بتول حسين، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٠.

[٣٦]. الشرفات، سعود، مفهوم "الدولة" عند داعش، https://2h.ae/PIBI، ٢٠٢٠، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، تاريخ الدخول {٢٠٢٣/٦/١٠}.

[٣٧]. الصنايبي، عبد الحق، العقيدة التكفيرية لسيد قطب: بين الفكر والممارسة، https://2h.ae/dfBs، تاريخ النشر: ٢٤/فبرير ٢٠١٨، (تاريخ الزيارة: ٢٠٢٣/٦/١٠).

[٣٨]. هادي، حسين عدنان، مرجع سبق ذكره، ص ٤١.

للشعب كركن من أركان الدولة من مفهوم ديني – طائفي سلفي "متطرف"، وينظر لها كجماعات أو طوائف، وهي لا تخرج عن التصنيف الثلاثي الذي يضعه تنظيم "داعش" في كتاب (إعلام الأنام في دولة الإسلام) فهي إما **طوائف مرتدة**؛ ارتدت عن الإسلام بانخراطها في منظومة الاهداف الصليبية وتبنيها للمنهج الديمقراطي الكافر ومشاركتها في خطط الدولة العميلة ومساندتها في مهامها الوزارية والحكومية المختلفة، وهذه الطوائف لا نصيب في الدولة الشرعية لكونها لا تمثل الإسلام ولا تقيم شرعه. **وطوائف ضالة**؛ لم تنخرط في المخطط الصليبي ولا تساند الحكومة المرتدة، ولكنها تتبنى مناهج منحرفة في فهم الإسلام، وتتفشى في صفوف قادتها وأتباعها البدع والضلالات، والتصورات الباطلة المنافية للسنة البيضاء، فهي لا تستطيع أن تقيم الشرع كما أرده الله عز وجل وعلى وفق المنهاج النبوي الشريف. **وطوائف سنية مجاهدة**؛ حاربت المحتل وقاتلت الغزاة، وأثخنت بالعدو وأبلت فيه بلاء حسنًا، ولكنها بقيت تعمل وحدها منفردة عن خط الاجتماع والائتلاف عن تنظيم "داعش"، وفاتها بذلك فضل الالتحاق بمشروعهم السياسي والجهادي في إقامة الدولة الإسلامية[٣٩]. فقد تعامل التنظيم مع المجتمعات المحلية في المناطق الخاضعة لسيطرته، التي كانت تُدرَس بوصفها مجتمعات متشابكة عضويًا واجتماعيًا، كأنها مجتمعات افتراضية لا روابط اجتماعية بين سكانها، وذلك من دون اكتساب حسنات مجتمع المدينة. وهكذا أنتج تنظيم الدولة عكس ما توصف به المجتمعات الأهلية والإسلامية القديمة، إحدى أسوأ السلبيات الموافقة لنشوء المجتمعات الحديثة، أي التذرير والعزلة، من دون الحداثة ذاتها[٤٠].

ويعرف تنظيم "داعش" نفسه بوصفه "دولة" لا تقوم على أركانها وتكتمل أوصافها إلا بتطبيق النظام السياسي والاجتماعي، بحسب فهمه الفقير للشريعة الإسلامية القائم في جوهره على فهم الدين كمجموعة من التحريمات والعقوبات. بناءً على ذلك، تبنى تنظيم الدولة "داعش" بعد سيطرته على مساحات واسعة من سورية والعراق، نهجًا أكثر تشددًا في التعامل مع المجتمعات المحلية مقارنة حتى بتجربته الأولى في العراق (٢٠٠٦–٢٠٠٩) عندما كان يسمي نفسه "دولة العراق الإسلامية". ويعتقد بعض الباحثين، بان لجوء تنظيم داعش إلى فرض مزيد من القيود على حياة الناس، لم يكن يهدف إلى تثبيت سلطته في المناطق الخاضعة لسيطرته فحسب، وإنما أراد أيضًا توجيه رسائل مفادها أن منهج القاعدة لا يقيم دولة ولا يؤسس لخلافة، ولا يحكم شرعًا، ولا يبني مجتمعًا مسلمًا، وبناء

[٣٩]. التميمي، عثمان، مرجع سبق ذكره، ص٣٤.

[٤٠]. بشارة، عزمي، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٤.

عليه، فإنه هو الأحق ب "الشرعية الجهادية" من تنظيم ليس له وجود فعلي على أرض الواقع كتنظيم "القاعدة". وفي حماة الصراع بين القاعدة وتنظيم داعش، عاشت المجتمعات المحلية تحت سيطرة الاخير فترة زمنية صعبة، إذ مسّت سلطته وسطوته شتى مجالات الحياة وفرضت تغيرات على الانماط الحياتية في محاولة لاستبدالها بأخرى قادرة على انتاج فرد مسلم يدين بالولاء المطلق للتنظيم وأفكاره، وكأنهم أرادوا هندسة مسلم جديد على نمط تجارب الأنظمة الشمولية في ألمانيا النازية والاتحاد السوفيتي والصين الماوية في إنتاج إنسان جديد، لكن المنفّذ هذه المرة على درجة من التخلف والرثاثة مسخت عملية "الهندسة الاجتماعية" الشمولية[٤١].

٣. المنعة (السيادة)

ينطلق تنظيم الدولة الإسلامية في فهمه إلى (السيادة) من منطلق إسلامي سلفي – جهادي، بالربط بين مفهوم السيادة والحاكمية، باعتقاده أنَّ السيادة لله وحده دون البشر، وأنَّ تحقيق العبودية لله وتحقيق دعوة الانبياء لن تتم إلا بسلب البشر المتسلطين سيادتهم على الناس وتجبرهم عليهم، وردّ السيادة والسلطان لله وحده؛ لذلك فقد أمر الشرع بإقامة دولة لتحقيق هذه الغاية العظيمة، لأن مثل هذه الغاية لا تتحقق في الحياة من خلال السلوك الفردي، بل تحتاج لسلطة تحمي التوحيد وتنشره، وتطبق الحدود بقوة وسلطان، استنادًا إلى فتاوى أبن تيمية بقوله: "جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدّيْن كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فإن الله سبحانه وتعالى، إنما خلق الخلق لذلك وبه أنزل الكتب، وبه أرسل الرسل، وعليه جاهد الرسول والمؤمنون"[٤٢]. وتفسير سيد قطب لمعنى كلمة الجاهلية الواردة في سورة المائدة في قوله تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}، بأنها حكم البشر للبشر؛ لأنها هي عبودية البشر للبشر، والخروج عن عبودية الله، ورفض ألوهيته، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر، وبالعبودية لهم من دون الله. إن هذه القضية هي الاساسية الذي يقوم عليه الدين؛ "السيادة للشرع"، فالله لم يُرسل الرسل، إلا لتعبيد الناس لربهم، تعبيدهم بالمفهوم الذي يريده الله عز وجل، المفهوم الذي تريد الجاهلية فرضه، ذلك أن العبادة في حقيقتها خضوع لله في الشعائر والشرائع، وتوحيد لله سبحانه في الأوامر والنواهي كما هي

---

[٤١]. المرجع نفسه، ص ١٩٩.

[٤٢]. التميمي، عثمان بن عبد الرحمن، مرجع سبق ذكره، ص٨.

توحيد له سبحانه في الوجود والخالقية. والسيادة عند تنظيم "داعش" هي ظهور حكم الإسلام ونفاذه، وعدم الخروج عن طاعة ولي الأمر، وعدم الافتيات عليه، أو على أيَّ ولاية من ولايات الدولة[٤٣].

٤. السلطة (الحكومة)

تنبع أهمية السلطة والحكومة عند الإسلاميين من أن ذات الإنسان تبقى دائما بحاجة إلى توجيه وارشاد وتأديب، وسوف لن يصل الإنسان إلى درجة العصمة في يوم من الأيام؛ لذلك لا بد من جهاز يقوم بتحكيم حدود الله سواء بطريق الإرشاد أو الحد أو العقوبة، وهذا الجهاز هو الحكومة[٤٤]. فالسلطة هي الهيئة الاجتماعية المسلم لها بالنفوذ والقادرة على فرض إرادتها على الإرادات الأخرى، لكن الملاحظ إن لفظة السلطة بمعناها الاصطلاحي، أي دلالتها على الحكومة، لم ترد في القرآن الكريم بهذا المعنى وإنما وردت بمعناها اللغوي الذي يعني الغلبة والقهر والتمكين، وقد يعود ذلك إلى أن مفردة السلطة بالمفهوم السياسي لم تكن متعارفة زمن النزول والتجارب السلطوية السابقة التي عالجها القرآن. فالقرآن استخدم لفظة السلطان للدلالة على الحجة والبرهان وعدها من شروط الرسالة، لكن هذا لا يعني أن القرآن الكريم قد خلا من الإشارة إلى السلطة، ولكن باستخدام ألفاظ تدل على السلطة أو صاحب السلطة، منها لفظ (الملك، الخليفة وأولي الأمر) وفيها من الآيات القرآنية الكثيرة. ويرى بعض الباحثين أن إقامة الحكومة الإسلامية تعد ضرورة؛ وذلك بسبب شمولية الدين الإسلامي، الذي يعنى بجميع احتياجات الإنسان، وسيرة الرسول (ص)، فبعض الباحثين الإسلاميين والتيارات الإسلامية تعتقد بأن الرسول قد شكَّل دولة في المدينة وترأس حكومتها وقام بإدارة المجتمع وأرسل الولاة وجلس للقضاء وغير ذلك من الأمور التي تقوم بها السلطة والحكومة، فضلاً عن صورة تنفيذ الأحكام الإسلامية (الحدود والأحكام) الشرعية... وهذا ما يحتاج إلى سلطة أو حكومة قوية[٤٥]. وتكاد تجتمع كل التيارات الإسلامية على ضرورة السلطة كركن ثابت في أركان الدولة الإسلامية، لكنها اختلفت في شكل السلطة، ولاسيما التيارات السلفية الجهادية، التي انفردت في طبيعة السلطة وشكلها، واخذت طابع ديني بحت. فالمودودي يرى أن الحاكمية بكل معنى من معانيها هي لله تعالى وحده، فهو الحاكم الحقيقي والأصلي، ويستدل على رأيه هذا بمجموعة من الآيات القرآنية التي من بينها

---

[٤٣]. المرجع نفسه، ص٨.

[٤٤]. القبانجي، صدر الدين، المذهب السياسي، في الإسلام، ط ٦، ١٤١٨، ص١١٩.

[٤٥]. علوان، بتول حسين، مرجع سبق ذكره، ص١٦٣.

{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[٤٦]. واشتمل أحد أهم كتبه وهو (المصطلحات الأربعة) على كثير من أساسيات الفكر الجهادي المعاصر، إذ يقول فيه: "خلاصة القول أنَّ أصل الألوهية وجوهرها هو السلطة؛ سواء أكان يعتقدها الناس من حيث أنَّ حكمها على هذا العالم حكم مهيمن على قوانين الطبيعة، أو من حيث أن الإنسان في حياته الدينا مطيعٌ لأمرها، وتابع لإرشادها، وأنَّ أمرها في حذ ذاته واجب الطاعة والإذعان"[٤٧]. فالحاكمية السياسية لله تعالى وللخروج من مأزق حصر السلطات بالله تعالى، ذهب أصحاب الحاكمية إلى نظرية التفويض، فادعوا أن الله تعالى فوض السلطة التنفيذية إلى البشر، فـ (الخلافة) ليست هي الحاكم الأعلى وإنما هي نائبة عن الحاكم الأعلى وهو الله تعالى. والخلافة ليست كيانًا سياسيًا فقط، بل هي إلزام شرعي جماعي (واجب كفائي)، طريق للخلاص، فالمسلمون ارتكبوا حين تركوا الخلافة من الآثام ما يكفي، ولم تذق الأمة بعده طعم "الشرف" أو "النصر". وعليه فرسالة "داعش" إلى المسلمين هي تكراراً تأدية الطاعة للخليفة الصحيح "البغدادي" وأن يحيوا حياة إسلامية صحيحة. ويتضح أن خلف هذه الفكر الرومانسية للخلافة تكمن سياسات الهوية، وهي جوهر الإطار الأيديولوجي "داعش" المتضمن تأكيد هوية الإسلام السني وإعادة تعريف الإسلام الصحيح[٤٨].

ويذكر تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في تعزيز مشروعه السياسي في العراق، الذي ضمنه في (مفكرة الفلوجة) بأن هناك مشروعين مختلفين أحدهما وطني، تمثله فصائل التخويل مع المجلس السياسي. وهذا المشروع يتمثل بإنشاء حكومة وطنية تمثل جميع أطياف الشعب، بغض النظر عن المعايير الإسلامية في تمثيل النصارى وعبدة الشيطان والروافض لأهل الإسلام "على حد تعبيرهم". ويؤمن هذا المشروع بالمواثيق الدولية والقرارات الأممية وبالجامعة العربية... وغيرها، تحت مسمى الحكومة ذات التوجه الوطني. وعلى الرغم من التعارض بينهما في المصالح والرؤى والطروحات، إلا أنه يبقى يسيراً "باعتقادهم". أما المشروع الثاني، وهو مشروع على المنهج النبوي، يحدوهم فهم السلف وفقههم، ذو الاعتزاز بالدين، ويتمثل في دولة العراق الإسلامية، التي يمثلها تنظيم "داعش". وهذه الحكومة لا تؤمن بشيء يخالف الشريعة الإسلامية، ولا تعرف التنازل عن الثوابت تحت ستار الواقعية

---

[٤٦]. سورة المائدة، الآية ٢١.

[٤٧]. المحيميد، إبراهيم صالح، القصة الكاملة لخوارج عصرنا. حقيقة داعش والقاعدة، دار الإمام مسلم، ٢٠١٥، الرياض، ص٤٨-٤٩.

[٤٨]. جرجس، فواز، داعش إلى أين؟ جهاديون ما بعد القاعدة، ترجمة: محمد شيا، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ٢٠١٦، ص٣٩.

أو فقه السياسة العصرية، ونحوها من الأمور التي أصبحت معاول لهدم أصول الدين وثوابته "حسب اعتقادهم". إذ يرى التنظيم بأن المشروع الصحيح ما وافق المنهج الإسلامي، وليست المشاريع الوطنية مهما تلفعت بدثار الإسلامية والسلفية، حتى وأن كانت الحكومة الوطنية خطوة في التدرج نحو تحكيم الشريعة والوصول إليها؛ لأن الحكومة الوطنية يعتقد بانها تتورط في المواثيق والمؤسسات الأممية "التي يعتقد بكفرها" وأن المؤسسات الأممية سوف تتخلص من الاشخاص الذين يحملون فكرة التدرج لتحكيم الشريعة من خلال اعطائها الحكم لأشخاص لا يحملون سوى العداء للإسلام واهله[٤٩]. فقد اعتمد تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" على ذات الهياكل التقليدية لنظام الحكم الإسلامي، وهو يعمل عل إعادة بعث وتأسيس المنظومة السياسية والتشريعية والقضائية التي كانت سائدة في المنطقة لقرون طويلة، بل إن بحكم نزعته السُنِّية السلفية المحافظة، يعمل عل الالتزام والتقيد التام بالتراتيب الإدارية التقليدية، فمنذ سيطرته عل الموصل أصدر وثيقة تأسيسية تمثِّل دستور الدولة الجديدة، أطلق عليها "وثيقة المدينة" وهي ذات التسمية الي وردت عن النبي محمد (ص)، عند هجرته إلى المدينة المنورة قادمًا من مكة، والتي تضمنت الأسس والمبادئ المعتمدة في الحكم وإدارة شؤون الدولة والمجتمع[٥٠]. فضلاً عن ذلك، فقد يحذر تنظيم "داعش" من الدخول في النظام الدولي، وما يزعمه البعض من كون عدم الدخول في ذلك النظام الدولي، هو أشبه بحكم الاعدام على تلك الدولة، إذ يعدها داعش مجرد أراجيف ومخاوف تبدد مع إيمان الموحدين طبقًا لقوله تعالى: (إنَّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين). فالنظام الدولي أو الحكومة العالمية يعده داعش هش للغاية، وإمكانية كسره وخلخلته ليست بالأمر الصعب، ويمكن إعادة تشكيل هذا النظام الدولي تدريجيًا – حسب قدرة الدولة على تغيير الموازين– وفق الشريعة الإسلامية كما فعل النبي محمد (ص)، والخلفاء الراشدين ومن بعده من ملوك الإسلام. إنَّ قدرة الدولة على الصمود من عدمها ومواجهة النظام الدولي، تكمن حسب الفكر السياسي الجهادي لتنظم الدولة الإسلامية "داعش" في نشأة الدولة، هل هي نشأة برية وحشية "البداوة" أم نشأة مدنية "حضرية"، إذ يعتقد بأن كلما كانت الدولة وسلطتها ذات نشأة برية بدوية تحلت بالشجاعة أكثر وتكون قادرة على مواجهة التحديات والمخاطر، بعكس النشأة المدنية "الحضرية"، كما يفسرها أبن خلدون في مقدمته.

---

[٤٩]. مفكرة الفلوجة، مرجع سبق ذكره، ص١٢.

[٥٠]. مجموعة باحثين، تنظيم الدولة الإسلامية: النشأة والتنظيم والمستقبل، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، الدوحة، ٢٠١٦، ص٧٧.

سابعًا: مقومات الدولة عند تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"

يؤمن تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" بأن دولته ناشئة، ولم تتسلم أي ميراث من دولة سبقتها، فهو بناء إسلامي ينتهض من واقع جاهلي أشبه ما يكون في ملامحه بمراحل الدولة الإسلامية الأولى التي أقامها النبي (ص) من رحم الجاهلية، فالنظام السياسي الذي كان يحكم العراق نظام بعثي كافر "كما يعبر عنه"، ثم جاء بعده الغزو الصليبي برفقة ثلته العميلة المستأجرة للإشراف على نشر الكفر العالي في المنطقة وترسيخ معالم الجاهلية المعاصرة المتمثلة بالديموقراطية، أي أن الدولة الوليدة المراد تأسيسها من قبل التنظيم، لا بد أن تؤسس بنيانًا من الجذور، وهذا يرفع الكلفة في حقها على كافة المستويات الإدارية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، فهي بداية من الصفر. وأن الدولة الإسلامية التي ينشدها تنظيم "داعش" يعلم بأنها لن تكون كأي دولة معاصرة تنعم بالاستقرار الكامل والأمن الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وإنما حسب ما تمليه مصالح المشروع الجهادي وظروفهم الواقعية ويخدم استمرار الجهاد وزيادة مكاسبه وثمراته "بحسب تعبيرهم"، فهو ليس بحثًا شرعيًا بقدر ما هي رؤية تعكس نظرة القيادة الجهادية للواقع وتحمل في طياتها الحلول الأنسب لمشروع الجهاد ضمن حقول الألغام التي يسير فيها والعوائق والصعاب التي يتخطاها[٥١]، وهذا برأيه ما يعزز من مقومات الدولة في المجتمع الإسلامي بالقبول والرضا، ومنها:

١. توسيع نفوذ الدولة الإسلامية

يتم ذلك من خلال وضع قاض في تلك المنطقة وقائد عسكري من قبل الدولة لتلك المجموعات العشائرية، تكون المناطق الخاضعة لسيطرة الدولة أكبر وأكثر قوة ومنعة؛ لأن الانتشار العسكري سبب للضعف – كما هو معلوم– بينما هذه المجموعات العشائرية تستمد قوتها من حاضنتها الاجتماعية، وهذا ما ينشط دينامية الدولة ويجعلها قادرة على مواجهة التحديات بالقوة والعزيمة التي تحصل عليها نتيجة توسيع نفوذها.

٢. كسب ولاء شيوخ العشائر

[٥١]. التميمي، عثمان، مرجع سبق ذكره، ص١٠-١١.

إن التفاهم مع شيوخ العشائر والوجهاء، فإنهم يحسون بالأهمية وقيمتهم عند الدولة، وهذه فرصة للاتفاق ولكسب الولاء وتقوية الحاضنة الشعبية من السيطرة على المنطقة دون إعطاء كبير اهتمام لهؤلاء الوجهاء والاكتفاء بتبادل التوجس والخيفة المشتركة بين الطرفين.

٣. ادخال المجتمع في صلب عملية بناء الدولة الإسلامية

هذا المشروع يسهم في توعية الناس بأهمية العيش في ظل دولة إسلامية، كما أنه يحقق الوعي بجدية بناء دولة العراق الإسلامية وسهولة هذا الأمر، الذي يشوبه الكثير من الغموض بسبب التشويه الإعلامي من قبل العدو "كما يسميه داعش". كما أن مواقفهم وأسامهم في هذا المشروع يحقق ولاء عامة الناس للدولة وتعلقهم وارتباطهم بها.

٤. طمأنة المتوجسين من الدولة

بعض المناطق والقرى قد يكون هناك بينها وبين عناصر التنظيم بعض المشاحنة والارتباط منهم، إما لخطأ حصل من بعض المجاهدين وتضررا به، أو لتصديقهم الأكاذيب الإعلامية أو التغلب عليهم من قبل الصحوات، سوف يطمأنون من دخول نفوذ الدولة عبر هذا المشروع الذي سيكون منهم وفيهم "كما يسميه التنظيم"؛ وذلك عن طريق تكوين قوة من خيار رجالهم وشبابهم لحمياتهم وحماية أهلهم وطرد المرتدين من الشرطة والصحوة وطهير الارض منه[٥٢].

٥. إدارة الوضع المعاشي

يعتقد تنظيم "داعش" أن الغزو الأمريكي على العراق قد تسبب بانهيار كامل في مرافق دولة من أضخم دول المنطقة، وتسبب بوضع محزن للمسلمين في العراق وأوقعهم في شدة وبلاء ظاهرين؛ مما يستدعي من جنود تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" أن تقوم بتوزيع كثير من المواد الغذائية ومواد الإغاثة، وينظمون أعمال بيع النفط والغاز وغيرها من الحاجات، التي ساهت في تخفيف معاناة الناس وأدخلت المجاهدين "حسب تعبيرهم" في سباق مع الزمن في تحمل المسؤوليات والتكاليف. وهو ما يدعو إلى قيام الدولة الإسلامية لتأخذ مسارها الفعال في خدمة أمور المسلمين وتحسين أوضاعهم،

[٥٢]. مفكرة الفلوجة، مرجع سبق ذكره، ص٤٠.

وفق نظام شرعي اقتصادي لا يتأتى دون قيام الدولة وممارستها لصلاحيات السلطة والسيادة التي تشرف على هذه المصالح العامة من منطلق المسؤولية الشرعية[٥٣].

٦. إقامة الحدود

وما يتبع ذلك من العقوبات التعزيرية الرادعة لأهل الفساد عن الفواحش والموبقات، وإقامة الحدود من أعظم أسباب البركة وسعة الرزاق، لأن الحدود تزجر الناس عن ارتكاب كثير من المحرمات التي هي سبب لمحق البركات، ونضوب معين الخيرات؛ مما يجعل دولتهم محط ثقة وتقدير بين طبقات المجتمع المختلفة.

٧. دفع العدو الصائل وتحصين الثغور

وذلك لحفظ حدود دار الإسلام من طمع العداء من الكفار أو المرتدين، وهذه هي عبادة الرباط التي جعلها الله تعال من أعظم العبادات، فرباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطًا عوفي من سؤال القبر، ونمى له عمله إلى يوم القيامة، ولا تمس النار عينا باتت تحرس في سبيل الله، كما يعبر عنه صاحب كتاب إعلام الأنام في قيام دولة الإسلام (عثمان بن عبد الرحمن)، فضلاً عن ذلك، هناك بعض المقومات التي تحفظ للدولة هيبتها بين المسلمين وتزيد من قوتها ومقوماتها "كما يعتقد التنظيم بها" منها، جباية الزكاة وإحراز الفيء والصدقات وغيها من موارد بيت المال، وكفالة أسر القتلى والأسرى ومن لا حيلة له، ومعونة الجند، وتولية الثقات الأكفاء.

ثامنًا: داعش دولة ضد الدولة

يبدو جليًا أن تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" يناصب الدولة القومية الحديثة العداء، إنه يسعى، وفق تصور إمبراطوري للإسلام، إلى إزالة الدولة القُطرية التي تشكَّلت عقب الحقبة الاستعمارية، لتحلَّ دولة الخلافة الإسلامية محلها، ولكن ما هو كُنْه تنظيم "داعش" هل ننظر إليه كحركة ثورية أخيرة في وجه الإمبريالية الغربية، أم حركة اجتماعية إسلامية أصولية؟

لعل المقاربة الأنسب لفهم تنظيم "داعش" هي أن ننظر إليه كدولة حديثة؛ فإن داعش تتوافر بصورة مدهشة على البنية التي تنهض عليها الدولة الحديثة، لكن ليست الدولة بمعناها الديمقراطي، أو

[٥٣]. التميمي، عثمان، مرجع سبق ذكره، ص٣٧-٣٨.

الجهاز الذي يحتكر العنف الشرعي بحق مواطنيه، بل الدولة بوصفها "ليفياثان" أو "إلهًا المميت" بتعبير هوبز [*] يخضع له الجميع، ويحتكر الحق في استخدام العنف بصورة مطلقة (الشرعي وغير الشرعي). تلك هي المفارقة إذن؛ تنظيم "الدولة الإسلامية "داعش" الذي يقدِّم نفس كضدٍّ للدولة الحديثة، هو في جوهره دولة حديثة، بل هو يتمثل في واقع الأمر الدولة الحديثة في أبشع صورها: الدولة التوتاليتارية/الكليانية؛ كما صورتها (حنا أردنت) في تحليلها للظاهرة التوتاليتارية[٥٤]، إذ ترى بأن معمار النظام التوتاليتاري يتكون من الآتي: (كاريزم، أيديولوجيا تاريخية، آلة قمع، وجهاز بروباجندا)، وقد خصَّت أرندت في نصها الكلاسيكي هذا ثلاثة نماذج توتاليتارية بالدراسة (الفاشية والنازية والستالينية)[٥٥]. ولعل الدولة التي يبتغيها تنظيم "داعش" أكثر عنفًا وفتكًا من هذه النماذج مجتمعة؛ وذلك إذا ما أخذنا حجم العنف والقمع والقتل وترهيب المجتمع بأبشع الوسائل في تجربته التي أسسها في العراق وسوريا بين عامي (٢٠١٤-٢٠١٧).

والحال، أننا لو تدبرنا في تصنيف تنظيم (الدولة الإسلامية "داعش") وممارساته، سنجد أن يتوافر على مكونات هذا المعمار؛ فتنظيم "داعش" يتبنى أيديولوجية تحمل تصورًا ما لمسار التاريخ، يعمل هو على تحقيقه. إنها أيديولوجيا الخلافة، الخلافة الإسلامية بما أنها هي المآل الذي ينبغي أن يؤول التاريخ إليه، عليه إذن أن يتخذ كل الخطوات اللازمة لتسريع تحقق هذه الغاية فعليًا في هذا العالم. يبدو جليًا استعجال "داعش" الوصول لغاية التاريخ هذه في إعلانه المبكر عن قيام الخلافة الإسلامية بعد سيطرته على أجزاء من العراق وأجزاء من سوريا. ثم إن "داعش" لديه كاريزما تتمثل في الخليفة، بوصفه وريثًا للنبوة منوطًا به حفظ الدِّين وسياسة الدنيا "طبقًا للماوردي"، له بيعة واجبة في رقبة كل مؤمن. أمَّا عن جهاز القمع، فتنظيم ("الدولة الإسلامية "داعش") حوَّل كل من ينتسب إليه لآلة قتل، تحت غطاء مفهوم الجهاد. ومن جهة البروباجندا، فلا مراء في أن "داعش" يمتلك جهازًا دعائياً قوياً، يُروِّج من خلاله لنفسه، جهازًا قد استغل بنشاط كل منتجات الحداثة "التي يناصبها العداء" من وسائل التواصل الاجتماعي، إلى التصوير السينمائي. إذن، "داعش" هو فاشيست حقيقي، ولكنه ينهض هذه المرة على أيديولوجيا دينية، مما يجعل أكثر خطرًا في واقع الأمر؛ فالأيديولوجيا الدينية تَهَبُ من يعتنقها قدرًا من الاطمئنان الميتافيزيقي الذي يُكسب بدوره جرأة عل تنفيذ ما يعتنق، فهو ينفِّذ إرادة الله

*. راجع هوبز، توماس، ليفياثان، ت: ديانا حر وبشرى صعب، كلمة للنشر ودار الفارابي، أبو ظبي، ٢٠١١.

٥٤. راجع: أرندت، حنا، أُسُس التوتاليتارية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، ط٢، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٦.

٥٥. مجموعة مؤلفين، مرجع سبق ذكره، ص١١٩.

هذه المرة وليس إرادة بشرية. وهذه هي مفارقة تنظيم ("الدولة الإسلامية" داعش")؛ بينما هو يعلن عن عداء نشط للدولة الحديثة، إذا به يتمثل جوهر هذه الدولة في أشد صوره عنفًا وقسوة. ولعل هذه المقاربة التي يتوافر عليها تنظيم "داعش"، هي مؤشر على هشاشة الدولة العربية المتضخمة، كما يعبر عنها نزيه الأيوبي، إنها دولة هشَّة وإن بدت في صورة ليفياثان هوبز المخيف. لنفهم ذلك ربما كان علينا أن نعود لمفهوم السياسة عند كارا شميت؛ فجوهر السياسة عند شميت، هو القدرة على تدشين لحظة الاستثناء، أي: لحظة الحرب، والسياسي الحق هو من يملك القرار في لحظة الاستثناء هذه. فالدولة أذن أو (السياسي) التي لا تملك قرار الحرب هي دولة "مبتسرة" سياسياً، وفاقدة لقدر كبير من شرعيتها ككيان سياسي. وأن الدولة القُطرية العربية الي خلَّفها الاستعمار، هي دولة لا ينطبق عليها تصور السياسي لدى شميت؛ إنها في واقع الأمر لا تملك القدرة عل تدشين لحظة الحرب. إن الدولة العربية لا تستطيع أن تقدم لنا تمييزًا واضحًا بين الصديق والعدو، التمييز الذي يراه شميت ركيزة أساسية للسياسي. وعلاقة الدولة بالمجتمع صارت ذات طابع حربي بدرجة أو بأخرى. وجاءت القاعدة لتسد هذا الفراغ الذي خلَّفته الدولة العاجزة عن الحرب، إنها أعادت رسم خريطة سياسات العداوة بكل وضوح، ووفَّرت له بتعبير طريف لياسين الحاج صالح "سوقًا سوداء" للحرب، بعدما عجزت الدولة العربية أن توفره بصورة مشروعة، فالقيام بواجب الحرب هذا (الفريضة الغائبة وفق المعجم الجهادي) يفسر جزئيًا الجاذبية التي تحظى بهلا القاعدة لدى أشياعها[٥٦].

إنَّ ما أضافه تنظيم (الدولة الإسلامية "داعش") في هذا السياق، أنه وسَّع من نطاق عمل سياسات العداوة، إذ صار من يخضع له هو وحده الصديق بينما من سواه هو العدو. توسل تنظيم (الدولة الإسلامية "داعش") في تمييزه الصارم هذا بين الصديق والعدو بتقنيات ميتافيزيقية كتقنية التكفير التي وظَّفها بعنف لإخراج من يخالف من إطار الإسلام ومن ثم استحلال دمه وماله باسم الإرادة الإلهية، التي هي إرادة هوبزية لو حُقِّق أمرُها. هذه هي إذن مفارقة تصنيف تنظيم (الدولة الإسلامية "داعش") كدولة ضد الدولة، والتي هي بمثابة تعبير عن خيبة أمل الدولة العربية في تحقيق جوهرها السياسي.

الخاتمة:

ربما لم يبحث موضوع الدولة ونشأتها ومقوماتها أو أركانها، بشكل منهجي واضح ومستقل في المنظومة الإسلامية بشكل عام، سواء كانت من داخل التيار السلفي الجهادي أو من خارجه، ولعل

[٥٦]. مجموعة مؤلفين، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٠-١٢١.

غياب الاجماع الإسلامي فيما يتعلق بمشروع الدولة الإسلامية والاختلاف الفكري والتاريخي بشأنها، أو حالة التشوية والارتباك التي تعيشها الطروحات الإسلامية في كل ما يتعلق بمفهوم الدولة وطبيعتها وشكلها وأركانها، فضلاً عن قصور الدولة العربية القومية "القطرية" وحالة الاضطهاد والدكتاتورية والتشدد السلطوي، التي قامت عليها مجمل الدول العربية منذ مطلع القرن العشرين، ولاسيما في البيئتين (النجدية والمصرية)، وفشل الإسلام السياسي فيها، أسهم بشكل كبير في اعطاء المساحة الفكرية والسياسية والاجتماعية للتنظيمات السلفية الجهادية في التنظير لموضوع الدولة بهذا الشكل، بمعزل عن التجارب الإسلامية المتعاقبة عبر التاريخ، وبعيدًا عن الدولة القائمة "الدولة القومية الحديثة"، أما على الصعيد العملي، فأن مجمل الاقطار العربية لا تتوافر عليها صفة السياسي/ الدولة، التي وصفها كارا شميت في القدرة على الاستثناء أو اتخاذ القرار وتدشين الحرب.

إنَّ الدولة التي يتوق لها تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في الوقت الحاضر، وينشدون إقامتها، ويبررون إعلانهم بها، ويعدها انموذج صالح لكل زمانٍ ومكان، هي دولة المدينة أو دولة الرسول، مبررين ذلك، بأن الرسول (ص) أقام كيانًا في المدنية على أساس "صحيفة المدينة" قبل أن يتمكن من أسلمة بلاد العرب، وحين كان ملاحقًا من أهله وعشيرته في مكة، على الرغم من أنَّ الرسول (ص) لم يستخدم كلمة دولة، ولم يُفكر في المدينة باعتبارها دولة، فهذا أسقاط معاصر على كيان المدينة الاجتماعي، السياسي، القبلي والديني التعددي. ووقع هذا الأسقاط، قبل أن يقوم هؤلاء بإسقاط كيان المدينة من جديد على الواقع الحالي، فتصبح أمام إسقاط مزدوج من الحاضر إلى الماضي، ثم اسقاط نتائج الاسقاط الاول من الماضي إلى الحاضر كما يعبر عنه الكاتب "عزمي بشارة". والحقيقة أن تنظيم "داعش" يقصد دولة بالمعنى الحديث للكلمة، من دون توافر شروطها. وعند مناقشة منظريه حول عدم توافر مكوناتها الأساسية، يجيبون عادة بأن هذه مصطلحات الكفار والغرب، وأن الدولة التي يقصدونها ليس هذه، وإنما "دولة الرسول". لكن الرسول لم يأبه لتسميتها دولة، في حين يُصرون هم على هذه التسمية تشبيهًا بالدولة الحديثة في الحقيقة. ويحاولون إقامة مؤسسات تشبيهًا أيضًا بمؤسسات الدول القائمة في عصرنا، وأهمها جباية الضرائب وتقديم خدمات أساسية إلى السكان، ومحاولة احتكار العنف ومنع الآخرين من ممارسته على أرضٍ محدودة طبعًا، مع محاولة توسع هذه الأرض باستمرار؛ لهذا فأن موائمة تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" بين دولته المزعومة ودولة الرسول (ص) أو غيرها من النماذج الإسلامية، تعد موائمة غير موفقة (نظريًا وعمليًا) وبعيدة عن كل التجارب "أنفة الذكر"، فضلًا عن ذلك فأن مشروع دولة تنظيم "داعش" يمثل حالة طبيعية للصراع

الطائفي والإرهابي الذي تصاعد في الدول العربية بعد أحداث الربيع العربي، ودولة داعش هي نتيجة لذلك الصراع، وكأنها نوع من حق تقرير المصير للسنّة، في لبوس من احتكار الدين وليس العنف فحسب، وثمن ذلك تكفير الآخرين، بغية الانفراد بالدولة بحدودٍ طائفية، فبدلًا من الحدود السياسية والجغرافية، يضع "داعش" بينه وبين الآخرين حدودًا دينية، ما يجعل من حقه تغييرها باستمرار، بحجة اعتبار الجهاد ضد الكفر والشرك فريضة، ما بقي الشرك قائمًا. نتيجة لذلك خرجت الدراسة ببعض الاستنتاجات منها:

١. لم يستطيع تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" أن يقدم أنموذج سياسي إسلامي للدولة، ولم يتمكن من مجاراة الدولة القومية الحديثة "التي يناصبها العداء"، على الرغم من هشاشتها.
٢. عززت تجربة دولة تنظيم "داعش" ثقة المجتمع العربي والإسلامي بالدولة القومية الحديثة "الدولة القطرية العربية" بالرغم من العيوب الكبيرة التي تكتنفها.
٣. لم يتمكن "داعش" من تحقيق المقاربة الإسلامية في موضوع الدولة، وكانت تجربته أقرب إلى الدولة الحديثة منها إلى الفهم الإسلامي، لكنه في واقع الأمر مثَّل الدولة الحديثة في أبشع صورها.
٤. يخلط تنظيم "داعش" بين أركان الدولة ومقوماتها ووظائفها المعاصرة.

المصادر والمراجع:

١. أبو رمان، محمد، آفاق الإسلام السياسي في إقليم مضطرب: الإسلاميون وتحديات "ما بعد الربيع العربي"، مؤسسة فردريش ايبرت، عمان، ٢٠١٧.
٢. أبو رمان، محمد، الإسلام السياسي في الفكر الإسلامي: المقاربات، القوى، الأولويات، الاستراتيجيات، ط١، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٠.
٣. أبو قتادة، عمر بن محمود أبو عمر، الجهاد والاجتهاد.. تأملات في المنهج، ط١، دار البيارق – عمان، ١٩٩٩.
٤. أبو هنية، حسن، أبو رمان، محمد، الأزمة السنية والصراع على الجهادية العالمية، ط١، مؤسسة فريدرش إيبرت، عمان، ٢٠١٥.
٥. أرندت، حنا، أُسُس التوتاليتارية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، ط٢، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٦.
٦. آل نجف، عبد الكريم، الأبعاد العالمية للنظرية السياسية الإسلامية، مجلة قضايا إسلامية، العدد (٦)، إيران، ١٩٩٨.

٧. بشارة، عزمي، تنظيم الدولة المكنى داعش، ج١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، قطر، ٢٠١٨.
٨. التميمي، عثمان بن عبد الرحمن، إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، ب. ت.
٩. جرجس، فواز، داعش إلى أين؟ جهاديون ما بعد القاعدة، ت: محمد شيا، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١ بيروت، ٢٠١٦.
١٠. حجازي، أكرم، دراسات في السلفية الجهادية، ط٣، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ٢٠١٣.
١١. راجع هوبز، توماس، ليفياثان، ت: ديانا حر وبشرى صعب، كلمة للنشر ودار الفارابي، أبو ظبي، ٢٠١١.
١٢. سادات، أحمد، السلفية الجهادية (التكفيرية) الأصل، المصادر، المبادئ، الممارسات. كتاب منشور على موقع منصة المنهل الإلكترونية: https://2h.ae/SKQr تاريخ الدخول (٢٠٢٣/٦/١٣):
١٣. السنهوري، عبد الرزاق أحمد، فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية، مؤسسة الرسالة ناشرون، ب. ت.
١٤. سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، ط٦، بيروت، ١٩٧٩.
١٥. سيد قطب، معالم في الطريق، مكتبة وهبة، ب.م، ب. ت.
١٦. الشرفات، سعود، مفهوم "الدولة" عند داعش، https://2h.ae/PIBI، ٢٠٢٠، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، تاريخ الدخول {٢٠٢٣/٦/١٠}.
١٧. الصنايبي، عبد الحق، العقيدة التكفيرية لسيد قطب: بين الفكر والممارسة، https://2h.ae/dfBs، تاريخ النشر: ٢٤/فبرير ٢٠١٨، (تاريخ الزيارة: ٢٠٢٣/٦/١٠).
١٨. عبد الجبار، فالح، دولة الخلافة التقدم إلى الماضي ("داعش" والمجتمع المحلي في العراق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، بيروت، ٢٠١٧.
١٩. عطوان، عبد الباري، الدولة الإسلامية (الجذور، التوحش، المستقبل)، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٥.
٢٠. علوان، بتول حسين علوان، مفهوم الدولة وأركانها في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، مجلة العلوم السياسية، العدد ٤٣، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد.

٢١. عماد، عبد الغني، حاكمية الله وسلطان الفقيه، قراءة في خطاب الحركات الإسلامية المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥.
٢٢. الفقيه، شبر، مفاهيم الفكر السياسي في الإسلام: إشكالية الأمة والدولة، دار البحار، بيروت، ٢٠٠٩.
٢٣. القبانجي، صدر الدين، المذهب السياسي، في الإسلام، ط ٦، ١٤١٨.
٢٤. مجموعة باحثين، تنظيم الدولة الإسلامية: النشأة والتنظيم والمستقبل، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، الدوحة، ٢٠١٦.
٢٥. المحيميد، إبراهيم صالح، القصة الكاملة لخوارج عصرنا. حقيقة داعش والقاعدة، دار الإمام مسلم، ٢٠١٥، الرياض.
٢٦. مفكرة الفلوجة، خطة سياسية لتعزيز الموقف السياسي لـ "دولة العراق الإسلامية"، ١٤٣١هـ. كتاب منشور على موقع جامع الكتب الإسلامية: https://2h.ae/mpVh تاريخ الدخول (٢٠٠٦/٦/٢٦).
٢٧. المنصور، ابو عبد الله محمد، الدولة الإسلامية بين الحقيقية والوهم، ب. ت.
٢٨. المودودي، ابي الاعلى، منهاج الانقلاب الإسلامي، الدار السعودية للنشر، ط٢، جدة.
٢٩. ناجي، ابو بكر، إدارة التوحش: أخطر مرحلة ستمر بها الأمة.
٣٠. هادي، حسين عدنان، الدولة في فكر تنظيم داعش، مجلة اغتراب، العدد١، مركز بلادي للدراسات والأبحاث الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٦.